غادة السمّان

392

A.M.

عاشِقة في مِحبرة

الطبعة الرابعة



منشورات غادة السمان

Thurs.
17/10/2013



□ مع غادة السمّان كل قصيدة مملكة، وكل كلمة شجرة ياسمين، وكل منزل وطن. وحين نقرأ لها نوقن أننا عثرنا على الشعر.

حسين نصر الله

□ بكلمة واحدة: هي فيروز الكتابة العربية!

صالح الحاجة

□ في «عاشقة في محبرة»، غادة السمّان شاعرة لامبالية تماماً، ولكنها بأبجدية ودودة ملغمة أحياناً، وأحرف من ليمون وحناء وضوء... إنه جنون الكتابة هذا الذي جعلها تصنع عسل حريتها الصافي، فتلعب بالوقت والكلمات.. فهي تحيا بهذا النزف المقدس: الكتابة، المكان الوحيد الذي لا يصله الموت.. تحيا على الورقة على الأقل وكأنها في سباق مع الموت. هكذا يشعر الشعراء، أطفال هذا العصر الخؤون

عذاب الركابي

□ عنوان «عاشقة في محبرة» بالنسبة لغادة السمّان، الأديبة الاستثنائية، عنوان غير عابر، وهي صاحبة أجمل وأندر عناوين نسائية في الأدب العالمي كله. قصيدة «عاشقة في جيبها نجمة»، قصيدة كونية نادرة، استطاعت فيها غادة السمّان أن تمزج البسيط بالمعقّد، الصغير بالكبير، المحلّي بالعالمي، وذلك في نصّ يحقّق متعة جمالية للقارىء لا توصف. وغادة ليست بمعزل في جميع كتاباتها عن أن تحقق هذه الأحاسيس الجمالية الاستثنائية للقارىء. أخيراً، لا مهرب لقارىء هذه الكلمات عن «عاشقة في محبرة» عن العودة إلى الكتاب نفسه. فلا شك سيرى وجهاً جديداً من وجوه كثيرة إبداعية تمتلكها امرأة نادرة الوجود اسمها غادة السمّان.

علاء الدين عبد المولى

□ رأيتُ فيما يرى الصاحي، نملة ضالّة في بلاط الورقة، تتعلّم الخشوع وأصابعها شجرة تين تتضرع.. ورأيت حبراً يتحوّل إلى بحر.. وأصابع تتحوّل إلى قوس قزح.. وأحزاناً إلى عصافير.. وقلماً إلى غصن زيتون.. وورقة إلى فضاء.. وجسداً إلى سحابة. ورأيت داخل القلب، قرى متوّجة بالقرميد الأحمر، تقطنها عصافير الذكريات وفراشاتها الذهبية. أين رأيتُ هذه العجائب كلها؟ في كتاب «عاشقة في محبرة»، واسم العاشقة: غادة السمّان.

د. غازي القصيبي

□ تبدو غادة السمّان نافرة من الألفة في كل شيء، فكرياً ولغوياً ووجدانياً.. وهذا الخروج من عالم الألفة أو أنابيبها الضيقة، يطلقها حرّة في براري الفن المذهلة في بكارتها وتوحشها وغرابتها. وهي سمة من أهم سمات غادة السمّان.

مصطفى سليمان

ISBN 9953 - 456 - 02 - X
9 789953 456027

جابرييل جارسيا ماركيز

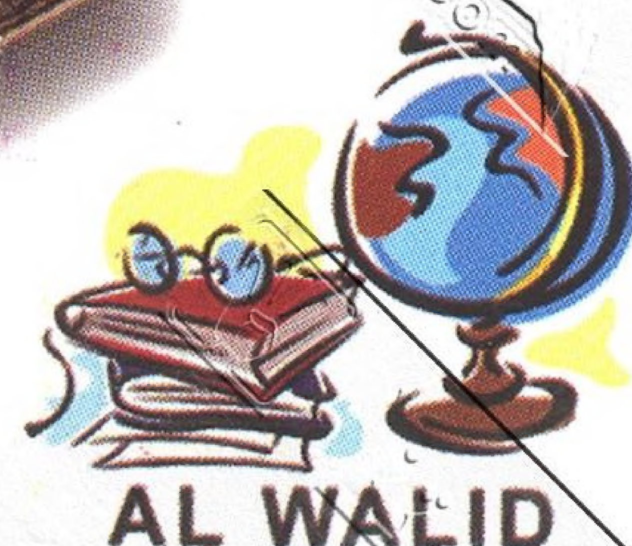
عاصفة الأوراق

PAPERS STORM

روائع الأدب العالمي

ترجمة: كريم محمود

كتابنا القادم




R4BIA

عَاشِقَة فِي مِحبرَة

ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية
الاستاذ الجامعي والشاعر د. عبد الحسين فرزاد،
وصدر عن منشورات "جشمة" ـ طهران في طبعتين.

النصوص المترجمة الى الانكليزية في هذا الكتاب

قام بها (بالترتيب الأبجدي) : د. جون عصفور –

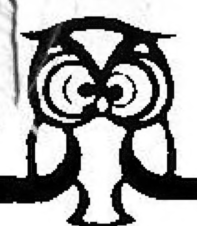
ريم و رزان زهراء – د. عيسى بلاطة – ناتالي حنظل –

و نويل عبد الأحد الذي ترجم معظم النصوص .

□ **لوحة الغلاف الأوّل**: للفنان الكبير رينيه ماجريت.
□ **صورة الغلاف الأخير**: غادة السمّان بعدسة د. حازم الداعوق.
□ تتابع الأسماء على الغلاف الأخير بالترتيب الأبجدي.

غادة السمّان

عاشقة في محبرة



منشورات غادة السمان

الإهداء

أهدي هذا الكتاب
إلى أمبراطور اسمه الفرح
يخلف دائماً موعده مع العشاق!

غادة

كل رجل يقتل من يحب.

أُوسكار وايلد

لا يوجد حب سعيد.

أراغون

يا له من ألم ألاّ يكون لك ألم!

لوركا

النسيان هو الحرية.

جبران خليل جبران

آه، أن تُحب معناه الرحيل مع الماء والنجوم
مع الهواء المختنق، والعواصف الشرسة.
أن تحب معناه معركة مع أضواء البرق
وأن ينهزم جسدان
أمام العسل وحده.

نيرودا

عاشقة الرجل المستحيل

لا أريد تلك الألفة الكسول بيننا
كالألفة بين اليد وفرشاة الأسنان..
تعانقها كل يوم.. ولا تذكر لونها!..
لا أريد أن تخطو إلى غابات ليلي،
كما ترتاد السكين قلب خسة طازجة،
وتركض فيها دون أن يثير ذلك التفاتاً..
أريد أن يظل حبنا غريباً..
كمشهد صبية تحمِّص بشرتها تحت الشمس،
وقد تمددت عارية فوق قبر رخامي وقور...
أريد أن أحدِّق في ابتسامتك،
كما في وردة نبتت من رغيف..
أريد أن يظل لقاؤنا مدهشاً ومثيراً،
كزرافة جالسة في دارٍ للسينما..
أو عصفور يقرأ صحيفته في المقهى
ويدخن لفافته.. ويصبغ حذاءه!...

* * *

أتمنى أن تنتظرني لأنني لن أحضر...
وتحبني لأنني لا أشبهك،

ولا أشبه فتاة أحلامك
ولا أذكِّرك بأحد غير الموت . . .
ولأنك حين تراني، تبصرني أيضاً.
وتضم إليك جسد ظلي،
وتحب ثرائي لأنني فقيرة . . . وسطوتي لأنني وحيدة ومشردة
ولأنني الكذب الذي لا يرقى إليه الشك . .
أريد أن نغادر المشاعر الجاهزة
ونتنصل من كل ما قيل عن الحب،
لنعود روحين في ملعب الزمان
لا يربطهما غير فراقهما . .

★ ★ ★

أحبك لأنك تسقيني عطشي فأرتوي. وأشكرك،
وأزدهر كوردة صبّار الصحارى . .
أحب كلماتك التي يلغي بعضها بعضاً،
مرهفة لابتسامتك وهي ترسم دمعتها
كالخيط الأخير للنهار وهو يرسم أفق المدينة . .
أحب ضجيجك لحظة الصمت، وثرثرة سكوتك
وأجد في زلزالك استقراري،
وأنتمي إلى زئبقك الهارب خارج الأوعية المألوفة . .
ولأن الفراق هو اللقاء اليومي لنا
حضورك مفاجأة دائمة
كما لو أنك وصلت للتو من كوكب آخر . .
أحبك لأنك الغريق الذي يخشى البلل
والنار المتأججة التي تخشى الدفء . .

★ ★ ★

أحبك لأني ألتقي بك لحظة أغادرك. .
أحبك لأنك بسيط كالأسرار
واضح كالغموض. . . ولأني أجد سورياليتك منطقية!
أحبك لأنك لست الأبيض ولا الأسود. .
كلحظة التقاء الأشياء
التي تتعانق لأنها لا تمتزج. .
أحبك لأنك لا تدعو للاطمئنان،
بوسعي أن ألمحك كومضة برق،
ويستحيل امتلاكك كفراشة مثبتة تحت دبوس. .
أحبك لأنك مذهل وآسر،
كعبارة صباح الخير لحظة الاحتضار!. .
وحين أكتب عنك،
أتلاشى مع السطر الأخير. . .
كأنني أسيل في أنابيب السطور. .
حتى لا يتبقى مني شيء. . ب.ع.د.ك. . .

* * *

أتمنى أن تحبني لأني طرت قارّتين كي أراك
ثم أخلفتُ موعدي معك!
أتمنى أن تحبني لأن رفضي
دعوة ورجاء. . .
ودربي رحيل بلا وصول. . .
وقلم وعودي ممحاة. .
أحب أن تناديني لحظة إقلاع طائرتي بعيداً. .

وأن تأمرني بالكف عن الثرثرة حين أصمت . .
أتمنى أن تخلو حياتنا من فراق اللقاء
وموت الحب تحت سنابك العناق .
وسأظل أمشي في حقول ألغامك ،
وأنا أحمل بيدي عكازي الأبيض كالعميان
لأرى غموضك بوضوح . .
وسأظل أحبك ،
لأنك الماء المستحيل ،
وإذا انكسرتُ داخلك
صرت قوس قزح أبجديته الألوان . .
وسأظل أحبك ،
دون أن تقصّ جناحيك لي كهدية !
كي تظل شاعراً . . . وأظل عاشقة . .

١٩٨٩/٣/٨

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية .

بومة عاشقة في ليل الحبر

هل يتلوني الليل على مسامع الصبايا في دمشق،
قائلاً إنني كنت مثلهن، عاشقة ترادف الجنون. .
ونحلة، لدغها كل من صنعَتِ العسل لأجله؟
تتدلى أيامي هناك من سقوف الذاكرة كمناديل ملونة. .
متوحشة كنت، مهرة برية تصهل في سفوح قاسيون. .
تغسل جموحها في نهر بردى وتحلم بنهر السين. .
وها أنا اليوم أصهل على ضفاف السين،
وأحلم ببردى ودجلة والفرات والنيل. . والليطاني. .
امرأة تزهو بآلاف الطعنات
ترصع صدرها بوسام الذبحة القلبية
وفي قاعها حجرات بملايين المرايا. .
لكنها لا تزال تميز وجهها الحقيقي. . .

★ ★ ★

. . . كأية بومة لا تصلح لأقفاص طيور الزينة،
همت في ليل الأسرار، لأتعلَّم
كيف يصير اسمي سواراً في معصم العشاق
ولمسة حنان في ذاكرة أهل الحزن والتشرد والتمرد. .
ما هو اسمي، إذا لم أسمع قارئاً

يتلوه في مكتبة سائلاً عن حرفي؟
كيف أتحول إلى رياح لا تصدأ
إذا لم يهب اسمي من صدور مجانين الحرية؟..
مرة هدّدتني جدتي بـ «لقمة الزقوم» إذا كذبت..
ومن يومها وأنا أقول الصدق في حضرة الورقة المقدسة...
وحين حاولتْ عجائز الأسرة قص لساني
وإطعامه للقطة كي أصير «شامية» نموذجية،
لففت صدقي حولي كالكفن، وركضت في كتاب دمشق..
كغلطة مطبعية فات أوان تصحيحها، أو إعدامها!..

★ ★ ★

ما أعذب الفراق الطويل...
يظل الذين أحببناهم شباناً في ذاكرتنا..
والمدينة تظل كما عرفناها محفوظة في صناديق الماضي...
بيوتها العتيقة، أزقتها، أبوابها القديمة اللامنسية
لم تداهمها لعنة الإسمنت المسلح بالقسوة واللامبالاة
وعربدة الأبنية العصرية على رفات الأجداد..
وتظل أنت كما عرفتك، جميلاً وخائناً ومعشوقاً ووغداً...
وبردى ما زال يركض بين بيتي العتيق و «بحرة» ديارك،
ومياهه ما تزال تغرورق في أحلامي.. وعيني.. كصورتك..

★ ★ ★

تزوج الحنان من الحجر
فولدت بيوت تنحني على أهلها كرحم
في أزقة متلاصقة الشفاه كهمس العشاق

قرب «باب توما» و «الشاغور» و «القصّاع» و «سوق ساروجة» . .
والذهب الضوئي ،
يسيل من قباب الجامع الأموي وستي زينب
ومن جرس كنيسة القديس بولص وآثار أقدامه حتى روما . .
دمشق زهو الورد الجوري ، في خدود صبايا
يقاتلن طواحين الهواء، ويربحن الخسارة المضيئة . .
لا تشهري عليَّ سيف الذكريات يا دمشق . .
أمطار أوروبا على مدى عصور
لن تمحو بصماتك عن أسوار قلبي
وعبثاً يركض الثلج بممحاته المتوحشة فوق سطور أيامنا . . .

* * *

قبل أن أرحل بعيداً كأية بومة أدمنت الليل،
قرأت دفتر الياسمين في دمشق . .
قرأت أحجارها العتيقة . . كنائسها وجوامعها . .
قرأت وجوه عشّاقها ومجانينها، ليلها وفجرها . .
قرأت فصولها الخمسة وأوراقها الخريفية «الدهبيات» ،
قرأت شواهد مقابرها ووجوه بسطائها وبسطات فقرائها . . .
قرأت طلاسمها. أحجياتها. تعاويذها. رياحها . . .
قرأت دم ثوارها وسجونها. حبال مشانق شهدائها . .
قرأت ميسلون .
وحين تخرّجت من مدرستها، وصرت وتراً يعزفها
بدأت طيراني الليلي بومة متوحدة في دمها ذلك كله . .
وليلة انكسر جناحي على طرف القمر . .

وسال دمي الأزرق حبراً حتى البحر..
سألني الليل: ما اسمك أيتها البومة الدمشقية؟
قلت له: اسمي الحرية..

١٩٨٨/٩/١٦

بومة عاشقة تغرِّد

حين أكتب عنك
فوق البحرِ غير المتوسط لأحزاني
والصمت مُحدق بي من كل جانبٍ
تطلع بهدوء فوق سطوري جزيرةٌ
لعلها كانت غارقة في قاع الورقة
حتى عرفتك!
ما أضيق الكلمات على صدري
كلما تنهدت حبك الشاسع..

* * *

حين تهب رائحة عطرك
يكتشف الهواء مجده.

* * *

حين تختال صوبي في المقهى
وكل عضو فيك يرحب بالآخر،
تكاد من جديد تقنعني
أن الجسد هو البلاغة
وكل اللغات الأخرى هراء فضفاض..

وحين تبتسم لي
أتأمل شفتين شهيتين كحافة هاوية
وأعرف كيف يستطيع الفم أن يصير بئراً لسقوطي . .
وحين تمضي، أكتب كثيراً فوق الرمل
لأتعلم قراءته، فلربما خطَّ لي مصيرنا معاً . .
والسنوات تعبرني، عاماً بعد آخر
وتصقل بشفراتها ماسة حبك
وتجلوها لترفعها نجمة جديدة
في مجرَّة نجومها بصمات المحبين . .
وحين أكتب عنك، تهب أصواتك لتلهمني
كصوت البحر، في كهف سري داخل ورقتي . .

★ ★ ★

كتبتُ جنوني وصدقي بكل هياج عواصفي ورياحي
فأحلّ الضفادع سفك دمي
في مواسم النقيق على حافة المستنقع
ونصحوني بكتابة باب الإعلانات المبوَّبة
وعمود الوفيات، وصفحات التسلية والأبراج
وامتداح التثاؤب وأعوانه، وكان وأخواتها
وبقيَّة الأفعال الماضية الناقصة
كي يعلّقوا على صدري وسام «الكوما» المذهب
برتبة حصان سباق متقاعد . .
ولكن البومة التي تقطنني
لا تزال تتابع طيرانها الليلي في قارَّات الدهشة

وحرفها مهرة فضائية لعشق الفضاء المفتوح . .
بكل قلبها المفتوح . . . على صدر الورقة البيضاء .

★ ★ ★

الصحو غبيّ يا جاري الراكض معي في قاع الزجاجة
والهذيان غنيّ بالشرر
والمسافة بين العرس والمقبرة،
شجرةٌ،
نصفها للسرير، والباقي للتابوت .

★ ★ ★

أكتب عنك أيها الغريب
في محاولة يائسة للتعرُّف على كُنه حبنا . .
أكتب لأنني أجهل، لا لأنني أعرف!

١٩٩٢/٤/١٠

بومة عاشقة متشائمة

كأية بومة أخرى عاشقة،
أعتقد أن الليل انتشر ببياضه الفاحم
كي أمارس طيراني
إلى عينيك المسكونتين بالدهشة والسرّ،
كالعيون الجميلة للبوم. .
تلك النجوم التي تراها
هي آثار خطاي وأنا أمشي صوب حبك. . .
في دربي إلى زمنك،
أمرّ بحقول تقتتل قبائلها وعشائرها. .
فيتهمونني بإضرام النيران. .
أمرّ بالأشلاء على أرصفة البكاء. .
فيتهمني الجلادون بإعدام الضحايا،
وتصدِّق الأمهات تلك الأكذوبة. . .
أمر بآثام كثيرة في دربي إلى عينيك. .
آثام لا تُصَدَّق، ترتكبها
تلك الطيور مقصوصة الأجنحة، الملقبة بالبشر. . .
وحين أنعق ذعراً من شؤم الناس
يلعنون صوتي، بدلاً من لعن آثامهم. . .

★ ★ ★

أطير صوب ضوء منتصف الليل.
بعيداً عن مؤامرة قص أجنحتي..
هل شاهدت يا صديقي مرة،
بومة من بني قومي تختطف أخرى، وتعذّبها؟.
هل شاهدت مرة، بومة مثلي تقصف بيتك؟
.. وأنا التي أستقل الريح، بالمحبة والدهشة
وأطير فوق خطوط كف الليل.. إليك؟
دوماً كان سلوك قومك غامضاً
حتى تحت الشمس، وسلوكي بالغ الوضوح في الظلام..
فهل ذنبي الوحيد أنني أحب الليل؟

* * *

لقد فتحت صندوق الأسرار..
فماتت الأصوات في حنجرتي..
كنت مرة حمامة، رافقت السندباد في رحلاته..
لكن أهوال البشر بدّلت ملامحي،
فاتسعت عيناي ذعراً ودهشة،
وتشردت مع «عوليس» في محيطات عرائس البحر..
وتسلقت جبال العقاب مع «سيزيف»
وحين حدقت في نار المعرفة سُملت عيناي
ولم أعد بعدها قادرة على التحديق في ضوء النهار..
ولكنني صرت أرى بوضوح ضوء العتمة
وأشباح الأسرار.. وأسمع دمدمات الأزلية
وهي تجري لليل عملية القلب المفتوح..
وأطير بصمت بجسدي الصغير كحمامة

وأمد جناحيّ من الأفق إلى الأفق
فيخافني القتلة، لأنني أفاجئهم وهم يقترفون آثامهم...

* * *

أطير بين أريج أوراق الصيف وأشجاره البلورية..
أطير، وتتكسر فضة القمر حول أجنحتي..
ألاطف الأشباح الوديعة، وأرواح الموتى
وأتحاشى ابن آدم وابن آوى..
أقطف لك تعويذة من الغابات السرية للفرح
كي لا يصيبك نحس بني قومك البشر
الذين يلوثون البحار ويجرّحون بشرة الفضاء
ونتشاءم منهم كثيراً نحن معشر البوم اللطفاء..
نتشاءم يا صديقي من جلّادي بلدك
الذين يسنّون أنيابهم على أطراف سكاكينهم..
ويتربعون فوق التوابيت محاضرين عن البهجة..
يتسللون في الظلام، يقطفون المدن بمنجلِ النار.
فكيف لا أنظر إليهم بعينين تنطقان اتهاماً؟
وكيف لا ترتعد ضمائرهم المثقلة أمام نقمتي؟
وكيف أقنع شعبك المكسور ببراءتي
لينقضَّ على أبناء الشؤم،
الذين يزرعون الجماجم في حقول الحزن؟...

* * *

انصتْ إليهم يا صديقي،
وهم ينعقون في كرنفالات الشعارات

المطرَّزة على جلد آلاف القتلى . .
وقل لي مَن لعنة الخراب ونذير الشؤم؟ . . .
انظر إلى مهرجان الموت العبثي هذا،
وقل لي: لماذا لم يعد أحد منهم يجرؤ
على تسمية القاتل الحقيقي سواي؟
طيراني هادىء كخطى الأشباح
لأنني أخاف أولئك المنحوسين البشر
المنكبِّين على وطنهم طعناً بالخناجر والمخالب
لاقتسام جسده المصلوب
غارسين راياتهم في بطون الحوامل وعيون الأطفال . . .
وكل ليلة، أعلن حقيقتي «البومية»
ولا أتخفى بريش طاووس،
فمتى يخلعون أقنعتهم ويُعلنون أنيابهم
التي لم تعد تخفى على أحد؟ . . .
وكيف لا يتشاءم معشر البوم منهم؟ . . .
شاهدت رجلاً يأكل لحم أخيه ليلاً،
ويترأس جمعية «النباتيين» نهاراً،
شاهدت تاجر السلاح يبيعه ليلاً،
ويخرج على رأس تظاهرة «اللاعنف» نهاراً،
شاهدت امرأة تسيل ناراً أمام حبيبها ليلاً،
وتنكره ثلاثاً قبل صياح الديك،
فكيف لا أتشاءم من البشر؟ . . .

١٩٨٩/٥/٢٥

بومة شامية عاشقة

كل ليلة أدّعي كاذبةً أنني ذاهبة إلى النوم
وحين أتمدد في فراشي، أفتح نافذة في وسادتي
وأقفز منها إلى حقول الماضي
أخلّف لهم جسدي المقدد تحت الأغطية
لأعود طفلة تتسلق شجر اللوز والتين
تضفر جديلتها بالنجوم. تنصب أرجوحتها بين قارّتين
والفراشات تطير من رؤوس أصابعها..

* * *

كل ليلة أركض في قارّتي السرّية،
أستعيد ذاتي المنهوبة وأعضائي المتناثرة بين دهاليز المترو
وأفاعي السكك الحديدية ومصحات مجانين المطارات
وردهات السعال والقهقهة الاصطناعية والكرنفالات
ولزوم ما لا يلزم
لأعود أميرة الحرية. أتنقل في حقول بلا مخافر
وقارّات بلا مراكز حدودية
ولا تأشيرات دخول وخروج للأحلام.

* * *

كل ليلة أنتزع الحدود وأرمي بها عن الكرة الأرضية

وتصير المجرَّة ملعباً مفتوحاً للدهشة. .
كل ليلة أخترع قطارات تركب فيها المحطات وترحل،
ويسافر السفر فيها، فأجدني من جديد في دمشق.
ثمة مدينة داخل رأسي توقف فيها الزمن
اسمها دمشق. تتابع حياتها كما كانت يوم فارقتها
لا تنمو أشجارها ولا تذوي. . .
ولا يهرم أحباب الأمس فيها ولا يموتون
يظلّون كما عرفتهم إلى الأبد
فراشات نادرة مغروسة بالدبابيس على جدران الذاكرة.

★ ★ ★

منذ عشرة قرون من المطر ودعتك في دمشق. أقسمت بالليل ـ كاذبةً على أن أعود إليك. أما زلت تنتظرني؟ لقد اكتشفت الآن بعد عشرة قرون من المطر أنني لم أكن كاذبة وما زلت أحبكما دمشق وأنت. عشرة قرون من التشرد. القطارات، المحطات الرمادية النائية. ضباب القرى الغريبة. عشرة قرون من التسكع وحيدة فوق الثلوج في ضوء القمر المفلوج. عشرة قرون وأنا أناديك ومدينتي بشفتين مطبقتين على صرختها كشفاه التماثيل. عشرة قرون من الجنون. وها أنا اليوم أحاول أن أعود مطيعة كبنفسجات جدتي وفي صدري عشرة قرون من الشوق. وأقسم دون أن أكذب كثيراً إنني لم أحبّ حقاً سواكما!. . .

★ ★ ★

كنت بومة شامية غريبة الأطوار. أقطن الدهشة
مثل زرافة صغيرة في حفل استقبال عجائز الثرثرة والأقنعة

وأهرب إلى بحيرات الحب أنحت التماثيل لإشارات الاستفهام
وحين اكتشفت السر صرت أنحت إشارات تعجب!
كم صادقت العاصفة وصار جسدي يعزفها بلا وجل . . .
كم استسلمت لضوء القمر في ليالي الحزن الانطوائي .
كم عذّبتني تقمصاتي من شرنقة إلى فراشة . .
كم أرّقني طموح فراشة صمّمت على التحليق مع النسور
واكتشفت التحولات المدهشة لمصائرنا
ما نرغب فيه حقاً . . . نكونه . . . ونصيره
نصنع أقدارنا أكثر مما تصنعنا هي . . .
كأية بومة شامية وفيّة لطيرانها الليلي . .

لم أكن أريد أن أحلم بالأشرعة التي تسافر. كنت أريد أن أكون السفر. لم أكن أريد أن أحلم بالأجنحة. أردت أن أكون التحليق ولو بين الصواعق والعواصف، رافضة قدر عيون المساجين لتركض نظراتي فوق القارّات، وتقرأ أكف المدن النائية، وبصمات الغرباء على نوافذ القطارات الغريبة، وتتسلق أغصان الرياح.

كنت أريد أن أحيا، لا أن أعيش وأنا أحلم بالحياة!

كنت أريد أن أحقق أحلامي وأزوجها بالواقع وأعقد قرانها على اللحظة بينما رمل الزمن يتابع هربه في حجرات الأنابيب للساعات المحكمة الإغلاق الممهورة بختم الموت والزمن.

* * *

عاشقة في الربع الخالي من حبك

لماذا تذكّرني صورنا العتيقة بالبكاء؟
لماذا تذكّرني بطاقات السفر بالذبحة القلبية؟

لماذا يذكّرني المطر في المطارات بيدَيّ جدتي
المخضبتين بالدعوات والياسمين والحنّاء؟
لماذا تذكّرني كلمة وداعاً بصوت سقوط المقصلة؟
لماذا تذكّرني عيناك بالياسمين وصوتك بالميجانا والعتابا؟
لماذا يذكّرني قلقك بامتحانات البكالوريا؟
لماذا تذكّرني قهقهتك بصهيل أحصنة برية؟
لماذا تذكّرني المطاعم الفاخرة في الغربة ببرادات الجثث؟
لماذا تذكّرني ناطحات السحاب بمصحات المجانين؟
لماذا يذكّرني التلفزيون بالكلاب المرفهة وحبوب منع الحمل؟
لماذا يذكّرني حبك ببكاء الأطفال اللقطاء على أبواب الأديرة؟

★ ★ ★

حين أموت لا توسّخوا الأشجار بالبكاء.
دعوني أمضي بهدوء قلم همس أسراره حتى نقطة الحبر الأخيرة فيه.
حين أموت، اكتبوا على قبري: هنا ترقد غلطة مطبعية
لم تسقط سهواً بل سقطت (صحواً)..
وكانت أكثر صدقاً من بقية السطور!
حين أموت انقشوا على قبري رسم بومة.
بعد أن يمضي المشيعون ويهبط الظلام، ستغادر البومة رخامها وتحلّق من جديد في فضاءات الليل الدمشقي بعينين واسعتين مزروعتين بالدهشة أبداً.
وستهمس البومة: سأظل أحبك يا دمشق...

١٨/٥/١٩٩٣

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

بومة متحفظة عاشقة

أيتها الغيوم اللامتناهية،
المحيطة بجناحَي طائرتي. .
كوني أوراقاً بيضاء لأخطّ عليك اسم حبيبي. . .
أيتها البحار التي تسلمني لبحار
كوني محبرة، لأخطّ بك اوديسة تشردي. .
أيتها الصخور، كوني صوّاناً
كي أقدح عليك جرحي،
وأشعل ناراً يستدفىء بها حبيبي الغريب مثلي. .
أيتها النجوم، كوني عقداً
لأحيط بك عنق ذاكرتي. . .
أيتها الرياح، كوني صمتاً،
كي لا تذيعي سرّ حبي. . .

١٩٩٠/٣/١٦

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

بومة استثنائية عاشقة

حبك لا يتطرق إليه اليقين
مبهم كالجنون، عذب كالطفولة . .
غجري، يكتم اللقاء أنفاسه ويجدده الفراق . .
حب معلَّق بين الاختفاء والعناق . .
الغيرة هراء . .
عما قريب ـ أو بعيد ـ نصير تراباً
ولن يكون بوسعي محاسبتك
على الرياح التي تمزجك بغير ترابي . .
الامتلاك كلمة هوجاء،
وعلى المرء أن يستمتع بقدر هائل من الحماقة
ليتوهَّم أن بوسعه امتلاك مخلوق آخر،
هيولي مثله، ترابي مثله، زئبقي مثله . .
راكب قطار لا يدري إلى أين يمضي به
ولا يذكر متى استقله،
ولا يملك لإيقاعات قلبه غير الكتمان . . .
أيها الغريب: مع الليل يشرق فجر حبك
فالليل دفتر لقارىء استثنائي اسمه العاشق . .

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

١٩٩٠/٣/١٦

بومة نجوم الظُهر العاشقة

لعلي صاحية أكثر مما ينبغي
لامرأة تريد أن تفهم الحياة حقاً
وتتجول في أسرار القاع المظلم للآبار. .
من يضربني على رأسي بعصا الهذيان
ليومض برق الحقيقة في عينيّ
وترشدني نجوم الظهر إلى الليل الحقيقي؟

١٩٩٠/٣/١٦

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

بومة الدهشة العاشقة

الليلة، لن أبتلع أقراصي المنومة
كي لا يفاجئني الموت على حين غرة كلصّ. .
أريد أن أكون صاحية
حين يصل كعشيق طال غيابه
كي أطارحه البكاء
وأقول له إنني انتظرته طويلاً. .

* * *

تُرى هل الرياح امرأة مشرَّدة
تقرع الأبواب كلها بحثاً عن موقد وسقف؟
وهل المطر حلم يستحم؟
وهل النجوم بصمات أصابع جداتي الموؤودات؟
وهل القمر عاشقة متجددة،
يقص شهريار عنقها آخر كل شهر؟
وهل القلم شمعة انفردت بنفسها إلى الأبد
وصادقت دموعها الحارة حتى القطرة الأخيرة،
على السطر الأخير؟

١٩٩٠/٣/١٦

تحوّلات عاشقة إلى نورس

أريد أن أرتدي استقراري، لكن روحي المتوحشة
تفتح ثقباً في قواقع حلزون الاستقرار، لتنطلق هاربة
إلى فضاءات الدهشة، وفي محطات الإعصار تركب القطار
مع الشعراء الجوَّالين من رعايا شهوة الحرية
وحاسة الليل، بعد أن تشتري «تذكرة بلا عودة».

★ ★ ★

أريد أن أرتدي حياتي المفصَّلة على (الباترون) العام،
لكن روحي المتمردة،
ترفض الدخول في فساتين الدانتيل المقولبة كالأحذية..
وعبثاً أقسرها على ارتداء القفازات المخملية للمصافحات اللزجة،
وألملم شعرها المجنون تحت تاج السهرات الكرنفالية،
وأسرحه بغير الأزهار البرية من منافي الحرية،
وأغطي وجهها بقناع يليق بالمسرحيات الطاووسية،
وأدسّ في حنجرتها شريط تسجيل مدججاً بالبلاغة الطبلية..
وحينما أحيط عنقها بعقد اللؤلؤ الثمين والبارد،
تقطعه وترحل إلى قاع المحيطات
لتسامر الأصداف النابضة باللؤلؤ الحي..
أتمنى أن أرتدي النوم (بدلاً من قميص الكوابيس)

وأغلق أزراره جيداً على روحي،
في سرير وثير تحيط به الهواتف المذهبة والأزرار..
وله خادمة توقظ التثاؤب بمروحة من ريش النعام..
وتغني لي بصوت من أفيون القمر حتى أنام..
لكن روحي تقص قصبة من خيزرانة السجّان،
وتثقبها بصرخة صامتة من حزنها فتصير ناياً،
وتنطلق بها هاربة إلى حقول الحرية،
وهي تعزف صدقها في ناي أحزانها
كمن يبكي عبر حنجرة مقطوعة مزنّرة بالكمّامات
وهو ينطح الأسلاك الشائكة المزروعة حول العيون العدوانية،
بدل الأهداب، أسلاك شائكة تُسوّر الغيوم عقاباً للطيور..

★ ★ ★

أريد أن أرتدي حبك
لا قيد حبك،
أريد أن أدخل في فضائك الشاسع
لا في قفصك الذهبي،
لا أريد أن تحبني حتى الموت
أريد أن تحبني حتى... الحياة!
لا أريد أن تحبني إلى الأبد: أحببني الآن!

★ ★ ★

مئات الأعوام والانهيارات تحاصرني..
وأنا أطفو فوق الأنواء كعصفور الزلازل..
أطير صوب الشمس ولو أحرقت طرف جناحي..

مئات الأعوام وأنا أشتعل راحلة من رمادي إلى ضوئي،
وقلبي محبرة بحجم قنبلة يدوية، تهدد بالانفجار باستمرار..
أنا المرأة التي غرقت بها المراكب كلها وخذلتها
وحين لم يبقَ لها من الأشرعة غير جناحيها
تعلّمت كيف تتحول من امرأة إلى نورس.

★ ★ ★

منذ مئات الأعوام
رفضت أن أحيا في حدائق التعاسة المرفهة
المزينة بورود اصطناعية من حرير الشهوات المذعورة
وتنهدات العوانس المتزوجات اللطيفات
بعيونهن المكحلة بالدمع المعلّق الذي لا يجف ولا يهطل
وأيديهنّ التي تداعب أصابع البيانو بالحسرات والأمنيات المكبوتة
والتنهدات تسيل من أجسادهن سرّاً
مثل بكاء الشموع في محراب الأحزان الرائعة المقدسة..
من زمان، كرهت غادة الكاميليا وڤرتر وڤرجيني والمنفلوطي
والتضحيات النرجسية في محراب عبادة الذات المزدوجة،
وقررت أن أهبط إلى قاع الليل الأرضي، والنهار
لتلامس أبجديتي كل ما تدّعي معرفته
وترقص تحت الشمس كتمساح أفريقي صغير يطارد ذيله
ببراءة زوربا الراقص في الطين مكتشفاً النجوم
محلّقاً بعيداً عن حضارات تعشق بهجة الألم للألم.

★ ★ ★

منذ مئات الأعوام، طرّزت ولّادة على طرف ثوبها:

«أنا والله أصلح للمعالي   وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكّن عاشقي من صحن خدي   وأعطي قبلتي من يشتهيها»
تُرجم اليوم ولّادة في عشرات المدن العربية،
إذا قالت لجارها صباح الياسمين والفل
أو اعترفت أنها قالت لحبيبها قبل ربع قرن: أحبك!!

* * *

قطفتُ حبك وردة أسطورية لا مثيل لها
وركضت بها فخورة إلى مضارب قبيلتي
فأعلنتْ بعض الخيام الحداد رافعة الأعلام السود!..
ماذا أقول لمن يركض إلى الملجأ،
حين يسمع كلمة «حب»
ويدق طبول الحرب،
بعد أن يقرع صفارات الإنذار، ويطلق النار؟

١٩٩٢/٩/٢٧

العلامة الفارقة: عاشقة!

لماذا يذكّرني صوتك بتلك اللحظة المسحورة اللامنسية، لحظة ألصقت صدفة على أذني، وسمعت للمرة الأولى صوت الأسرار وحكايا الريح والأمواج؟
لماذا يذكّرني حبك،
بشهقاتي يوم شاهدت البحر للمرة الأولى وكنت طفلة؟
لماذا يذكّرني حبك،
بأول تفاحة قطفتها خلسة عن شجرة، والتهمتها سراً دون أن أغسلها؟
لماذا تذكّرني حكايتنا،
بأول أرجوحة ارتعش جسد طفولتي لهبوبها، وفرح بتحليقها وسقوطها؟
لماذا تذكّرني حروفك،
بجموح فتوّتي ، وظلمات مراهقتي؟
لماذا يذكّرني حبك،
بأول شجرة لوز تسلقتها، وأول سقطة موجعة عن غصنها؟
لماذا يذكّرني حبرك الأخضر،
بالصباغ الداكن للجوز الأخضر على أصابعي، بعد ساعة من الشراهة الطفولية الشهوانية ومحاولات تكسيره بالحجر على طرف الصخرة واستخراج قلبه الأبيض لالتهامه؟

لماذا تذكّرني شفتاك،
بطعم الطباشير في المدرسة، يوم ذقتها خلسة عن المعلمة وكتبت على اللوح سراً كلمة: «الحرية»؟
لماذا يذكّرني دفء حضورك،
بمعطفي المخملي الأول، والياسمين في ضفائري؟
لماذا يذكّرني حبك بطفولتي، ومدينتي، ويعيدني إلى جذوري؟
لماذا يذكّرني خصب أصابعك بالغوطة، وقامتك بقاسيون؟
ولماذا، حين استلمت اليوم جواز سفري،
كتبت إلى جانب عبارة «العلامة الفارقة»،
عبارة: عاشقة؟...
ولماذا قرعتْ القبيلةُ طبول الغضب حين ضبطتني كجدّتي الأندلسية «ولّادة» متلبسة بالحب؟

١٩٩٤/١/١٠

هدر دم ورقة عاشقة

في تلك السهرة الاجتماعية (الوجيهة)
كان شكلك طريفاً
مثل نورس ضل طريقه من الشواطىء
إلى المزاد العلني.
في تلك السهرة،
دسستَ في يدي قصيدة حب
فتلطختْ أصابعي بدم الورقة.
أخفيتُ قصيدتك تحت أساوري
كي لا تهدر القبيلة دم ورقتك!
وكالهنود الحمر، كتبت لك في اليوم التالي
رسالة حب بسحب الدخان على صفحة السماء
فهدروا دم السحابة!...

١٩٩٤/١/١٠

عاشقة تروي حرائقها الأندلسية

محاكمة ولاَّدة «رواية أولى»

● **حدِّثينا عن حبك لابن زيدون. . .**

ـ نام اللقاء داخل نسيانه عصوراً
مثل جيتار داخل تابوته الخشبي المغبر
وحين تكهربنا من القصيدة الأخيرة والذاكرة الأولى
عادت الأوتار مشحوذة شجية الحزن
كسيف عربي في واجهة بائع التذكارات بمدريد. .
وعاد تابوتي أشجاراً حية في سفوح (السييرانيڤادا) الغرناطية. .
تقمصنا نورسين. حلَّقنا فوق البحر. تعاتبنا
على ما لم نفعله ـ في حياتنا السابقة ـ بأجنحتنا!

● **كيف تعيشين التقمص الثاني لحبكما؟**

ـ ثورة الصدى على الصدأ. بالحذر المتهوِّر، أحلِّق فوقه: قمراً على وسادة لا أجرؤ على التقاطه، والفرار!.

● **أما زلتِ تحبينه؟**

ـ لا أريد أن ترفق بي حرائق ذاكرتي
وها أنا أستحضره حياً، متأججاً كطعنة برق،
لأحيا احتضاري به، حتى ثمالة الصحو.

● **توهمنا قصتكما انتهت بالذبول التدريجي المحتوم للورد. . .**

ـ حبنا حكاية المد والجزر

بلا نهاية ولا انقطاع ولا بداية.
ما من لحظة فيه تشبه الأخرى.
كما لا يشبه المد والجزر ذاته:
يتكرر دون أن يتكرر... في أزلية المحيطات..
ألا ترى كيف تمحو الأمواج عبارة «الخاتمة»
كلما سطرناها على رمال شواطىء الأبدية؟

محاكمة ولاّدة «رواية ثانية»

● تركض الشائعات عنكما كالريح في حدائق الخرائب المعلّقة، فهل أحببت ابن زيدون؟ نعم أم لا؟

ـ نعم ولا في آن معاً.
ربما أحببت فيه رجلاً لا أعرفه
مالِكُ روحي أهواه ما دمت أجهله،
فأرسمه بريشة جنوني الملونة كما يحلو لي.
لم أعرف ابن زيدون حقاً، فتعلقت به
لم يكن بوسعي أن أحب رجلاً أعرفه
كي لا تنكسر شهوات حرفي إلى اللانهاية..
والكلمة حين تعشق المستحيل، تكتشف المطلق!

● ولكن ماذا سيحدث لك ذات ليلة
إذا باغتك الرجل المستحيل بحضوره قائلاً:
آسف يا ولاّدة. تركتكِ تنتظرين طويلاً
وتتقمصين حيوات متعددة قبل وصولي؟

ـ قد أقول له: أنا رياح متعبة سئمت ترحالها
وآن لها أن تترجل عن صهوة المباهج النورسية

لتعود امرأةً تتعلم فن البكاء.
وقد اعترف له ببساطة:
الرياح لا تستطيع الإقامة في بستان واحد مسوّر
والضوء لا يقدر على الزواج من الستائر والجدران
والسجاد والتحف والأثريات
ولا مفر له من الانتشار إلى حيث لا يدري
في الفضاءات اللامتناهية للمجهول...

● **تريدين، أم لا تريدين الالتقاء به؟**

ـ نعم، ولا
لذلك الرجل الذي أحببت دائماً دون أن أعرفه
كي أظل أوزع أعضاء أبجديتي، وأنثر روحي
في فضاء الغرباء، بلا مقابل، مثل بيدر
متحالف مع مناقير عصافيره، ضد فزّاعي الطيور وحرّاسه!

محاكمة ولاّدة «رواية ثالثة»

● **نريد اعترافاتك حول حبك لابن زيدون.**

ـ كان حباً كبيراً، فقد غدر بي وغدرت به.
طعنني وطعنته. تبادلنا العشق والكراهية
لكننا تواطأنا معاً دائماً، للاحتفاظ بأسطورتنا جميلة وأبدية.
ألم يكن دائماً، أجمل الشعر أكذبه؟
حكاية حبنا هزلية، تشبه ملايين الحكايا الأخرى
لكننا صعّدناها بقوة الفن من فحم إلى ماس.

● **قولي بوضوح، هل كان حبكما أم لم يكن؟**

ـ من يجرؤ على أن يقرن الحب بالوضوح؟

أليس الحب مسيرة الشموع في الريح
على دروب الخيالات المرتجفة المخاتلة
المتصلة المنفصلة المتوحدة المتفردة في آن؟
أليس الحب ارتسام الظلال المرتعشة
فوق بركة الزئبق المضطربة الغامضة في الأعماق؟
ألهذا نكره قليلاً
كل الذين نحبهم كثيراً؟

غرناطة، ربيع ١٩٩١

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

ابن زيدون يستجوب ولّادة العاشقة

● أنتِ متهمة بطيران الليل..
متهمة بالمسافات، متهمة بالقطارات
والصباحات المفاجئة في فنادق الدهشة
وصحوة الذهول في شوارع مدن نائية..
أنتِ متهمة بمغازلة المستحيل،
متهمة برعشة السرَ أمام ليل يتدفق نجوماً
متهمة بتمزيق الأقنعة والكمامات
متهمة بكراهية القضبان الحديدية والأقفاص
والصور المكبرة في الشوارع والمطارات، والجزمات «الميليشياوية»
متهمة بالبنفسجي والأوكسجين والظل والصدى
متهمة بكراهية الغرف المكيفة بغاز الفحم.

ـ ومتهمة بحبكَ.. وحين يسألني القاضي
سأقول له إنني مذنبة ـ بكل فخر ـ
أرتكب صدقي في كل لحظة
معلنة أن الغبار لا يصير تبراً بمرسوم
رافضة مدائن القحط والتثاؤب والذباب والطوائف..
منحازة إلى أجنحة العصفور ضد القفص،
والطيران لا التحنيط

متهمة بالشيء ونقيضه،
متهمة بحبك ورفضي لقيدك في آن،
وأحاول أن أستحق شرف هذه التهم كلها
ولا أطلب غير البراءة من براءتي. . .

★ ★ ★

● هل أحببتني حقاً ذات يوم يا ولاّدة؟
ـ كنت تحيط بحياتي كالضوء الذي لا يلمس
وليس بحاجة إلى دليل على حضوره غير حضوره!
كالضوء تتغلغل في أدق تفاصيلي اليومية والليلية
خفيفاً كالريح، كفرحة سرّية
كرفيف جناح عصفور عابر وليس كلسعة سوط.
وثمة أمسيات كنت أجهل فيها
أين ينتهي جسدي وأين يبدأ الليل. .
ثمة أيام لم أعرف فيها
أين يبدأ فمي وأين تنتهي ابتسامتك. .
ثمة لحظات نادرة لم أميز فيها
بين يدي ويدك، ومحبرتي ومحبرتك، وشروري وشرورك.
تصير دورتنا الدموية المعكرة واحدة،
وقلقنا واحداً، وقلمنا واحداً
ونموت في شهقة غبطة واحدة. . .

★ ★ ★

● ولكنك تجهلينني. . ذلك الحب كله، وتجهلينني!
ـ حين التقينا للمرة الأولى

كتبتك في أوراقي نسراً
حين عرفتك جيداً - أو توهمت ذلك -
سميتك نبعاً
يوم تشاجرنا اكتشفتك خنجراً
وليلة افترقنا ظننتك نجماً
ويوم خنتني دعوتك وَغْداً . .
واليوم وقد أحببتك مئات الأعوام
أراك بوضوح وأنا أذرف حبري
وأعي أنك كنتَ كلهم مرة واحدة،
نسراً وخنجراً ونبعاً ووغداً ونجماً،
فقد كنتَ رجلاً حقيقياً . . .

★ ★ ★

● هل بلغتكِ قصائدي؟
- حين أتلو قصائدكَ على مسمع الليل كتعويذة
يخرج وجهي من قناعه، وجرحي من مخبئه
وتسبح أسماكي صوبك ناسيةً خلع بحارها عن أجسادها
وتركض مهرتي صوبك، ولا تزال براريها عالقة في حوافرها . . .
وتطاردك أزهاري مع بساتينها،
ولأن الشيء وقرينه ونقيضه يحب حرفك
تجرؤ قافلة نساء مثلي،
على أن تنطق بكل أمزجتها ووجوهها وتقمصاتها
في صرخة موحدة بلا حنجرة،
لو كان لها صوت لهمست: ربما كنت أحبك!

★ ★ ★

● **كيف قضيت لياليك بدوني تلك العصور كلها؟**
ـ فوضى من الضياء الملون،
كانت سهرتنا معاً أنت وأنا، ليلةٍ لم تأتِ!
رقصت مع غجريات قرطبة، زنّرني حرير القمر
احتفيت بحضورك الخفي
وأنشدت له مع العباس بن الأحنف:
«يا ليت من نتمنى عند خلوتنا
إذا خلا خلوة يوماً تمنانا»
حتى هطلت النجوم كالثلج فوق مجدنا الغابر كله
وغطتني أوراق الأشجار عند الفجر
وصاحت الشمس وهي تشرق: «أوليه»....

إشبيلية ـ ١٩٩١/٥/١٥

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة في بلاط الورقة

يوم افترقنا، لجأت إلى دفتري العتيق
لأنكسر سراً وأكتب..
لكن دفتري انتصب واقفاً
وتركني، ومضى مهرولاً إلى الليل..

* * *

في بلاط الورقة، أنا نملة ضالة،
تتعلم الخشوع، وأصابعها شجرة تين تتضرع.

* * *

ما الذي يحدث لنا ويبعدنا؟ أأنت تحلق
أم أنني أنزلق إلى القاع؟ أم العكس؟

* * *

كأنني عقدت قراني على محبرة
وشهودي أوراقي..
أسبح معك حتى آخر الدنيا،
فأكتشف أننا لا نزال داخل محبرتي..
أجلس وإياك، وقلم لامرئي
يسطِّر داخل رأسي «محضر الجلسة»،

ونحن نتشاجر ونتبادل الطعنات
ويسيل الحبر من عروقي على سجائرك . . .
وحين ألوِّح لك بيدي مودعةً
أجد عشرة أقلام في موضع أصابعي . .
أنسحب بها إلى بلاطي الثلجي الشاسع
وجدرانه أوراقي
وأُعلن «مملكة الحب المستقلّة»،
وأترك آثار خطاي على الورقة تهرول محتضرة . .

* * *

كل ليلة،
يخرج أبطال قصصي هاربين من كتبي،
ويحومون حولي قبل أن أنام . .
أختار أحدهم، وأراقصه حتى الفجر . .
كل ليلة، أخونك مع أحد أبطالي،
ثم أبكي فراقك على صدره . .
كل ليلة، تنهض حروفي من أكفانها البيض المسطرة
وتقضمني قطعة إثر أخرى، وتلتهمني تدريجياً
مثل نار تعبر شمعة حتى الثمالة . .

* * *

. . وها أنا أنتشر في حروفي، أتلاشى فيها
أرشح عبرها ليلة بعد أخرى
على مدى ألف عام من الكتابة
وأتحول إلى آلاف الصفحات، وذات يوم

إذا افتقدتني وجئت لتوقظني، لن تجدني
وستجد على وسادتي نظارتي، وكوماً من الكتب
وعقب سيجارة، وكثيراً من الـرماد . .

١٩٨٧/١١/١٣

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة ترتدي غابة

أيها الشقي، ما زلت حين أكتب اسمك
يهطل المطر فجأة على الورقة..
كيف أتقمص أجنحة النوارس
لأطارد مراياك وظلالك؟
كيف خبأت دمك عني،
وسجنت عواصفك وأمطار جنونك داخل القمقم؟

* * *

وهل تنزف في البحر،
فيولد المرجان؟
وهل تركض على الشواطىء
وجسدك يسوِّر الأمواج،
فيولد المد والجزر راكضين بأمزجتك؟
كيف أُقلع بالليل إليك
لأسطو على نومك؟
كيف أرتدي الغابة،
وأستولي على نافذتك بالأشجار..
وأقول لك: أحبك،
قبل أن يغتالني حرس «احتياطاتك الأمنية» الزوجية؟..

وكيف أصير بحيرة،
تغمر تنهدات نومك . .
وترتسم على صفحتها أحلامك المجنونة . .
شرخاً من السواد، وربما زنابق مائية؟
وكيف أتقمص فزّاع طيور،
وأحيك مؤامرة مع عصافيرك،
وأمضي بك إلى طرقات الريح،
لنهرول فوق الكلمات المتقاطعة لحبنا الغرائبي .
وأبوح لك بسرّي الهزلي :
ما زلت أحبك أيها الشقي!

★ ★ ★

كنت أعرف أنني سأحبك، منذ قرأت حروفك
فلقّحني حزنك، وأنجبت الليل
كأية بومة أخرى متهورة . .

★ ★ ★

علِّمني أيها الشقي،
كيف أنهمر في زمنك
نقطة في آخر السطر؟

١٩٨٧/١١/١٣

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية .

عاشقة قالت: لا بحر في بيروت!

كيف أنسى تلك الغابات،
حيث ذرى الأشجار والقمر يتبادلان القبلات؟
وسيارتك تركض بنا إلى الليل..
بينما نتشاجر ونتبادل الاتهامات،
ونلتهب غيرة حمقاء..
دون أن نعي.. كم نحن سعداء!
متى تنتهي مواسم الديكة المتقاتلة هناك
ويبدأ موسم العودة إلى البحر؟
آه تعبنا من الهرولة في الغربة كالسلاطعين..
على شطآن ليست لنا..
تعبت من ارتداء وجه لا يخصّني
راكضةً فوق خرائط مكهربة بالثلج والغبار الذري
تلك الذكريات هناك تدميني..
من قال «لا بحر في بيروت»؟..

* * *

ها أنا ضالة بدونك، أهيم في الفضاء
مثل بالون أفلتته يد طفل في العيد.. ونسيته!..
ها أنت تلتصق بذاكرتي كصداع نصفي..

وتنهش زمني كسمكة قرش مثالية . .
ها أنا أقفز خلفك
على عكازيّ الأبجدية،
وأكاد أسقط على سلالم سوء التفاهم . .
دلّني عـلى الدرب إليك لأعود . .
من قال «لا بحر في بيروت»؟

* * *

أنفاسي المحمومة في الصباحات الباردة
تكتب لك بأصابع البخار
على زجاج نوافذ محطات الغربة :
النجدة . . النجدة . .
خذني إليك . . لفّني حولك كالعباءة
ولا تدعني أغادرك أبداً . . كالكفن . .
آه عبثاً أداعب شعر فراقنا وألاطفه
وأزين له حقيبة سفره بالنياشين
وأصفق له مشجعة،
كي يغطس بقدميه في زرقة السفر
دون أن ينقضّ على ذاكرتي الطاعنة في الحب . . فيوقظها . .
عبثاً أقنع نفسي أن حبك
يرعبني مثل خابية مليئة بالعظام والجماجم
تحت سريري ! . .
ها أنت تنبض حياةً سرّية وتنتفض داخلي
كقلب طفل مريض تحت خيمة الأوكسجين . . .

من قال «لا بحر في بيروت»،
ولم يختنق بها؟..

* * *

تعبتْ مني باريس،
وتعبتُ من السلالم المتحركة للتشرد المعدني،
وأبواب الفنادق الفاخرة العدوانية
التي تنفتح من تلقاء نفسها
حين تقف أمامها كشبح من مملكة الجنون..
تعبت من رائحة سم الصراصير
في المصاعد الخشبية العريقة، الضيِّقة كالتوابيت..
تعبت من السجاد العفن الفاخر
في البيوت المصفرة كأسنان المحتضرين،
وروائح النفتالين تفوح من نوافذ بلا شمس..
وأحجار المباني الصلدة بالغطرسة، المحيطة بي
شواهد متعددة الأشكال على قبري..
تعبت من رائحة «ماء جافيل»
في ملاءات فنادق الغربة
وأنا أنسل إليها حاملةً حيرتي ووحشتي
وأغادرها فجراً مزرقة كالجثة في الترعة...
تعبت يا حبيبي من ذاكرة مضرجة بالأشواق
مثخنة بالوطن، فهلَّا علمتني كيف أنسى
كما نسي الآخرون مؤكدين: «لا بحر في بيروت»؟

* * *

تعبت من الإجابة على السؤال التاريخي:

«من أين أنت»؟.. «من أي بلد»؟
تعبت من إلقاء تحية الصباح بالفرنسية،
والإنكليـزيـة والألمـانيـة والإيـطاليـة والسـويـديـة والبـولـونيـة
والسيريلانكية...
أريد أن أعود إلى هناك... وأحبك هناك..
وأغسل جرحي بالبحر هناك...
من قال «لا بحر في بيروت»؟....

١٩٨٨/٢/١٢

عاشقة المطر داخل محبرة

حين أموت
ستظل هذه الحروف تحملني إليك
دون أن يتبدّل شيء حقاً يا حبّي الكبير..
حين أموت، فتش جيداً داخل هذه الورقة..
أمْضِ إلى قاع كلماتي، ترني على قارعة السطور
أطير بصمت كبومة الدهشة..
وإذا كنتَ حزيناً، وأحرقتَ طرف كتابي
حضرتُ إليك
كما تحضر جنية حكايا جدتي الشامية
إذا أحرق مشتاقٌ شعرةً من رأسها وهبتها له.
حين أموت،
إذا مزقتَ هذه الصفحة غاضباً
ستسمعني أتوجع..
وإن غمرتها بمحبة عينيك أينما كنتَ وفي أي عصر
ستشرق الشمس فوق قبري في بيروت!..

١٩٩٢/٥/٢٢

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة الحوار داخل محبرة

● من هو أفضل قرّائك؟
- الرقيب!
● وأحبهم إليك؟
- الرقيب الذي تؤلمه أصابعه ليلاً
حين يشطب لي أحد حروفي نهاراً . .
الرقيب الذي يسمع انتحاب حروفي كطفلة
حين يقترب بمقصه من صدرها
● وأقسى القرّاء عليك؟
- سلة مهملاتي.
● وأقرب القرّاء إلى قلبك؟
- من يعتبرني سبقته إلى كتابة ما في قلبه!

١٩٩٢/٥/٢٢

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة الموت في محبرة

حين أكتب عنك
أراقب محبرتي بذهول،
ومطر دافئ يهطل داخلها . .
وأرى الحبر يتحول إلى بحر
وأصابعي إلى قوس قزح
وأحزاني إلى عصافير
وقلمي إلى غصن زيتون
وورقتي إلى فضاء
وجسدي إلى سحابة!

★ ★ ★

أطلقْ سراحي من حضورك في غيابك
عبثاً أنهال بفأسي
على ظلك فوق جدار عمري!

★ ★ ★

. . . لأن غيابك هو الحضور
ربما لا شفاء من إدماني إياك،
إلا بجرعات كبيرة من اللقاء داخل الشريان!

١٩٩٢/٥/٢٢

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة تطير مع بوم الدهشة

تموت الأبجدية، في بيت المرأة الشرقية
في مذبحة التفاصيل الصغيرة اليومية . .
هل لّمعتِ الأواني الفضية بدل حروف الأبجدية؟
هل مسحت الغبار عن الأرائك
وتركته يغطي أهدابك تحت الكحل؟
متى يحضر الضيوف؟ هرولي في القن داخل الهدر.
هل حمّرت البطاطس في الفرن وقددتِ حروفك؟
هل سترتدين ثوبك المخملي أم قميص المجانين؟
هل تملقت أقنعة الكرنفال،
هل صبغت حذاء المدعوين
بحبر قلمك
ونزفت دم موهبتك
ليلة قطعوا رأس القط أمام العتبة لإرهابك؟

★ ★ ★

ثمة مقبرة اسمها التفاصيل
تُدفن فيها أبجدية المرأة الشرقية
كهياكل السيارات الصدئة المحطمة
التي لا تزال تحلم بالريح والمسافات وشهوة الأفق . .

وكل ليلة، أقصّ نافذة في الأفق المعدني للمقبرة
أتسلقها بهدوء، وأقفز منها هاربة إلى الغابة
لأنشر أجنحتي قبل أن يأكلها الصدأ والعث
وأطير مع بوم الدهشة إلى أرض السرّ. . .
بعيداً عن مقبرة الأبجدية
في دهاليز مطبخ الأحزان الشرقية. . .

١٩٩٢/٥/٢٢

عاشقة تناديها البحار

والتقينا بعد طول فراق . . .
وبالرغم من ثقوب النفس المهترئة كجورب متسول،
وفئران الذاكرة التي قرضت أحلى ذكرياتنا،
بالرغم من بطارياتنا الخاوية . .
وبطانتنا المتملقة . . وثيابنا المسرحية الناجحة . .
وخطواتنا الاجتماعية المدروسة كخطى الدمى المتحركة . .
بالرغم من رقصتنا المتقنة،
على شطرنج الانتصارات المحنطة . .
عاد ذلك التيار الغامض،
ليسري بين نظراتنا . .
والسيالات الروحية اللامرئية .
توحّدنا بالتواصل الغامض الأكيد . . .
وعادت أصابعي تلثم يدك
في مصافحة الدهشة . .
وعدنا كما كنا : طفلين في جبال لبنان . .
يقتسمان النجوم والغابات،
ويتشاجران في غمرة القبلات،
التي يطبعها القمر على خدودهما المتوهجة بالأشواق .

★ ★ ★

كنت أظن أننا متنا جيداً، وبإتقان
ولم نعد نقرأ في دفتر الجنون والليل . .
ولم نعد نطالع غير مفكرة مواعيدنا، ودفاتر شيكاتنا . .
وفواتير علفنا وأقنعتنا وديكوراتنا . .
وها نحن فجأة، ننهض من توابيتنا المكيفة بالأوكسجين
ونعود من غرفنا المبطنة بحرير السلامة، لنجهش ضحكاً . .
ولنرقص من جديد على الحافات الحادة،
للمشاعر الغامضة تأججاً بجاذبيتها اللاأرضية الروحية .
آه أنت، متى انتهت قصتنا، ومتى بدأت؟
وأين تنتهي أنت وأين تبدأ حدودي؟ . . .
وما الذي سأفعله في الماضي الآتي بدونك؟
وما الذي فعلناه في المستقبل الغابر؟

* * *

إذاً التقينا . . واستيقظت الغجرية في أعماقي
من سباتها الاجتماعي الطويل . . وعادت تخاطبها العناصر . .
يناديني النهر الشهي : تعالي واغرقي . . لتتعلّمي
كيف تتنفسين ملء رئتيك . . .
تناديني البحار: تعالي من جديد إلى جزر الأسرار . .
تناديني الريح : أنا صوت القارّات المجهولة . . .
ألم تفتقدي الرحيل إليها؟
تناديني الشمس: تعلّمي حكمة العصافير . .
الإقامة في العش طقس عابر،
والطيران وحده هو الحقيقة . . .
تناديني عيناك،

وأنا أهرول في دهاليز متاهاتي
وتصدران إليّ أوامر شهية
لم يعد بمقدوري أن ألبيها. . .
كأن الحب الذي يستعصي على النسيان،
يستعصي أيضاً. . على التكرار. . .

* * *

لم أصدق يوماً لحظات كسوف حبنا. . .
ليس ثمة ما يشبه انفجاراتنا الضوئية
حين أمتلىء بحضورك بين دهر وآخر. .
أحوم حولك، مليئة بالنوايا السيئة للعشاق!. .
وأترك غبار طلعك يغطي حقولي
لتنمو براعم حروفي. . . والفجر يتنهدك في صدري. . .
وحتى الموت، أكتبك بحبر الأشواق
في عتمة الأعماق،
مثل أخطبوط ينزف سواده الحبري
ليدافع عن أسرار دموعه. . وفضائح أحزانه. .
آه كيف أحارب طواحين الهواء
ـ التي تنتصب في الأفق كلما التقينا ـ
بغير سيفي الورقي وتعاويذ حرفي؟

* * *

إذاً التقينا، وها أنا من جديد
أقلِّب نظراتك
مثل نورس يقلِّب دفتر المجرة

وأطالع أمزجتك وأحوالك
كمن يقرأ النجوم في ليلة صحراوية صافية
يرى المرء عبرها الأزلية،
ويكتشف معنى عبارة «إلى الأبد». .
وأتوغل في صمتك على رؤوس أصابعي
كي لا أفجِّر ألغام الماضي المشحونة بالعواصف. .
وأرحِّب بك في عمري
ترحاب غريبين في جزيرة خاوية. . .
وأحاول ألا يكون دوري في عمرك هذه المرة،
كدور خرساء. . . في مسرحية إذاعية!. .

١٩٨٩/١٠/٢٠

عاشقة مشاكسة

كان يشتم لي
«المؤثرات الغربية» في أدبي . . .
عبثاً حاولت إقناعه ،
بأنني أستعمل أحياناً بعض أدوات الغرب ،
ليزداد قمر وطني سطوعاً . .
لكنه تابع انتقادي
وهو ينفث في وجهي سجائره «الأميركية» . . .
ويتأزم داخل قميصه «التكساسي» . . .
ويكرع أقداح الويسكي «البريطاني» . . .
ويضرب الأرض بحذائه «الإيطالي» . . .
ويعبث بساعته «السويسرية» . . .
ويمسح الغبار عن نظارته «الفرنسية» . . .
ويتابع إلقاء محاضرته
عن العودة إلى التراث . . . باللغة «الألمانية» ! . . .
ويُفهمني أسرار «اليسار»
والكافيار يتناثر من فمه على أوراقي ووجهي ! . . .
وكانت ليلة الشجار مع «يسار الكافيار» . . .

١٩٨٨/٢/٢٦

عاشقة الحنين

أتشرد طويلاً حتى أنهار. . .
وتركض فوقي الطرقات. . .
تركبني القطارات. .
وهي تطلق صفيرها في كوابيسي. . .
. . . ومثل بئر جافة أتنهد الصدى،
فتأتي الغربة لتملأني،
بالدمع والثلوج. . .
هات يدك أيها المشرد مثلي بين العواصم المطهمة
وقل لي: بماذا تحلم،
وكل امرأة تشتهيها
تستحيل جثة زرقاء في فراش كوابيسك؟
ألا تحلم بأصابع أمك العجوز، المتورمة «بالروماتيزم»
وهي تناولك فنجان قهوة عربية
وأنت أمبراطور في فراشك الرث في قريتك؟

١٩٨٨/٢/٢٦

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة تعلن رفضها

ـ اتركنا وشأننا يا أستاذ. . .

● ماذا؟ ألا تريان أنكما تزنيان بالحب؟

ـ ولكننا متزوجان يا أستاذ. . .

● ألا تريان أنكما نسيتما الفقراء؟

ـ ولكننا فقراء يا أستاذ. . .

● ألا تريان أنكما تتنصلان من النضال؟

ـ لقد عدنا من النضال للتو يا أستاذ
ونريد إنجاب طفل يتابع الطريق
فهلاَّ تركتنا وشأننا يا أستاذ؟
لم يسمعنا الأستاذ. .
وأضرم النار في غرفتنا الفقيرة باسم «النضال»
ومضى لحضور عشاء يقام لتكريمه
يبيع فيه السردين الصغير المشاكس من أمثالنا
ليأكل سمك السلمون المدخّن. .

١٩٨٨/٢/٢٦

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة نقد «النقد»

ينابيع الأصالة؟
قلق العطاء؟
ذلك كله هراء..
حين تكتشف أنك لا تملك ثمن الدواء
أو أجرة تصليح الحذاء!..
فكيف تعتب
على الذين يكتبون «النقد»
وهم يحصون ما في جيوبهم من «نقد»؟
وبالمقابل، كيف لا يدبّ بينكما الشجار؟

١٩٨٨/٢/٢٦

عاشقة في سباق الجزرة

عبثاً يمتطي بعض النقاد حروفي
في سباق الخيول المروّضة. .
يلكزونها بأقدامهم: لا تسرعي هنا. .
ثم بسياطهم: اسرعي هنا أكثر. .
لن ترضى المهرة بقوانين ميادين السباق
ذات النتائج المرسومة سلفاً «بفرمان». .
وستجمح بكل من يحاول امتطاءها
لتركض حرة كالريح،
وتصهل كالعاصفة. . .
لا أريد المشاركة
في ذلك السباق الغبي لالتهام جزرة
حتى ولو كانت جزرة من ذهب! . . .

١٩٨٨/٢/٢٦

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة رجل «ممنوع من الصرف»

لا يزال التحديق في عينيك
يشبه متعة إحصاء النجوم في ليلة صحراوية. . .
ولا يزال اسمك
الاسم الوحيد «الممنوع من الصرف» في حياتي. .
لا تزال في خاطري
نهراً نهراً . . وكهفاً كهفاً. . وجرحاً جرحاً. . .
وأذكر جيداً رائحة كفك. .
خشب الأبنوس والبهارات العربية الغامضة
تفوح في ليل السفن المبحرة إلى المجهول. . .
. . . لو لم تكن حنجرتي مغارة جليد،
لقلت لك شيئاً عذباً
يشبه كلمة «أحبك». .
ولكن، وسط هذا المساء المشلول. .
تحت أحابيل الضوء الشتائية الغاربة. .
لم أعد أكثر من جسد ممدد في براد الغربة،
لم يتعرف أحد على جثته
المشحونة «ترانزيت» من دفء بيروت الغابر. .
إلى مشرحة اللامبالاة في حانة الحاضر. .

★ ★ ★

لأنني أولد مرة، وأموت مرات..
لأنك دخول الضوء في الأشجار
والحبر في عروقي، وبهاء لبنان في مرايا ذاكرتي..
أضبط نفسي متلبسة بالشوق..
متسولة على أبواب المجاعة إليك..
أهيم على وجهك، مثقلة بأشواكي
مثل نبتة صبار صغيرة ووحيدة..
وأعرف أنني سأظل أفتقدك في ولائم الفراق..
(هل ينبغي حقاً أن أنساك
كلما سكبت بيروت اسمنتها المسلح في حنجرتي؟)
وأعرف جيداً طريق العاصفة إلى منارتك
وأحزان أنهار ضلّت الدرب إلى مصبّاتها..
لا تتهمني بالنسيان، ولا تطعنني «ببرج إيفل»..
ولا تصلبني على عقارب ساعة «بيغ بن»..
ولا تحنط رأسي وتعلّقه أعلى «قوس النصر»..
لم يكن بوسعي أن أزرع الياسمين الدمشقي،
فوق جدران «سوهو» و «الحي اللاتيني»..
ولا اقتلاع «برج بيزا» لغرس نخيلي مكانه..
لكنني احتفظت لك دوماً بحقل سرّي
في دهاليزي.. وأشعلته بحمرة شقائق النعمان اللامنسية
المتأججة على جبين البراري السورية..

★ ★ ★

آه سأظل أتذكر تلك القبلات
التي تتبادلها يدي ويدك خلسة..

حين أصافحك وداعاً،
في سهرات الياقات المنشاة..
وولائم أقنعة الدانتيل فوق أسنان أسماك القرش..

* * *

... أحمل حبنا إلى محنِّط الطيور
وأرجوه أن يصنع لنا شيئاً..
تفوح رائحة عقاقيره، يستل مشرطه
وهو يتناول مني عصفورنا النادر
ثم ينطلق هارباً صارخاً: ولكنه ما زال حياً...
... أرافق حبنا إلى الحانة..
فيطرده النادل ضاحكاً: طائرك ولد ثملاً...
... أمضي بحبنا إلى «مقهى المطر»
وأغني له كي ينام، فيحدِّق ساخراً..
وعلى أهدابه ألمح اسمك
معلَّقاً كدمعة تواكبها ابتسامة شيطانية..
أدس له المخدر في قهوته،
فيرتشفها لامبالياً ممتطياً صهوة الذكريات..
ويقصّني صوت فيروز الجارح منشداً..
(بعدك على بالي...)...

* * *

لماذا أخط إليك الآن جنوني
في «لحظة حب» نزقة كزفرة تنهد؟
لأنني الليلة، داهمت منضدة مكتبي

فوجدت أحد أقلامي جثة هامدة
وقد مات منتحراً. .
بعدما شرب السم بدل الحبر. .
وكنت قد كتبت به صباحاً
رسالة وداع إليك!. .

١٩٨٩/٢/١٧

عاشقة في جيبها نجمة

في جيبي نجمة، أتحسّسها
حين تنهار المدينة فوق رأسي،
وتتفتت وجوه أحبابي داخل المرايا المحطمة. . .
نجمة دافئة مضيئة، أحتفظ بها كتعويذة
في جيب معطفي الممزق بطعنات أزمنة عدوانية. . .
نجمة تمدّني بقوة غامضة،
حين يتنصل العالم مني، مقهقهاً بأسنانه الرمادية
الداكنة بهباب المدن المحروقة. .
نافخاً في وجهي الغبار الذري لسجائره النووية. .
معربداً بهمجية وهو يدوس قريتي بساقي (الأوتوستراد). .
مستلاً سوط الحروب ليجلدني وقافلة عشّاق المحبة. .
طاعناً جلد الفضاء حتى يسيل دم (الأوزون). . .
ثملاً في كرنفالات الأوبئة والمجاعات والأحزان،
وموت الأشياء الجميلة الهاربة كالعصافير. . . والحب. .

* * *

في جيبي نجمة، أتحسّسها سراً حين أكاد أتلاشى
فأصمد في وجه عالم متوحش،
كسمكة سابحة في السيل، أو بومة نائمة على وسادة الزلازل. .

* * *

في مقبرة الأنفاق، أهرول كفأر إلكتروني،
مع قوافل الجرذان المعدنية كالحة الوجوه
المتزاحمة على أحشاء القطارات المسائية الحزينة. .
وأكاد لا أصدق، أن جسدي المقدد بالنفتالين
والفراء وعفن الضباب وصدأ الشوارع الكئيبة
كان ذات يوم يغطس في الزرقة الشفّافة
لسماء قريتي «الشامية» مستحماً بالخضرة والضوء،
سعيداً كسناجيب الله اللطيفة في حقول البَرَكة
وتحت شمسه الشاسعة. . أهذا الجسد نفسه
الراكض في هباب البكاء السري لدهاليز (المترو)
هو ذاته الذي رقته العجائز الدمشقيات
وقرأت عليه جدتي تعاويذها وأدعيتها المباركة
وخضّبته بالحناء والخرزة الزرقاء وضفرت شعره بالياسمين؟

* * *

ولولا تلك النجمة في جيبي، لضعت
ولما تعرفت على وجهي،
بين ملايين الوجوه الكالحة في مدن التشرد. .
ولما ميزت نفسي، عن تلك الجثة المزرقة
الممدة في براد الجثث، لغريب مجهول. . .

* * *

لم أعد أذكر من أين استحوذت عليها،
تلك النجمة،
لعلّي حملتها من قريتي يوم كنت طفلة

وكانت حصاة، فصارت تعويذة مشحونة بدعوات أبي لي. .
أم تراني التقطتها عن حضن أستاذتي
في ملعب المدرسة؟
لقد خذلني كل شيء تقريباً منذ ذلك الحين. .
شاهدت آلاف النجوم تنطفىء كالشموع
تحت مطر الصحو. . في ليل الخيبات الطويل. .
لكن نجمتي السرّية ظلت تضيء ببريق خاص. .

* * *

عبثاً تعلّمني مدرسة الغربة،
أن المال هو الشعر. .
وأن دفتر الشيكات هو ديوان العرب. .
وأن نظرة (جورج واشنطن) على ورقة الدولار،
أجمل من نظرة الموناليزا!. .

* * *

تلك النجمة، أتحسّسها سرّاً
وأنا راكبة قطار الأنفاق. . وحولي وجوه ووجوه
مسحوبة من ماكينة التكرار (فوتوكوبي) عن البؤس. .
نجمة أتمسك بها كي لا تضيع
وأنا أهرول في عتمة مدن ليست لي. .
وأنا أتسلق سلم المترو مارة بالمدمن والمتسّول،
وأنا أسعل في وجه الثلج دخان لفافتي
وأنا أتلقى صفعات رياح الغربة على خدي

* * *

أتحسّس تلك النجمة، أطمئن
وأعرف أنني سأستمر ـ إذا لم أضعها ـ
وسأظل راكضة فوق أوراقي بالحبر حتى قاع البياض. . .
وأحياناً، أتأمل صديقي المستقّر سعيداً في غربته
وداخل عينيه تركض بي سلالم معدنية متحركة
تكدَّست فوقها جثث الغرباء
بأيدٍ متحجرة على (الفيزا) و (الإقامة) و (إجازة العمل). .
وفي صوته تنوح أغاني الجاز، والعتابا والميجانا، وفي يديه
تلتمع أطراف مسننة لزجاجات شراب مكسورة. .
وأسمع داخل حفيف معطفه الجلدي البارد،
انهيارات «الألب» و «البيرينيه» وهو يحدثني عن الضرائب
والإضرابات والإيدز والكلاب المرفهة،
وأنا أتكسر كإبريق فينيقي ملون
ثم أتحسّس النجمة في جيبي، وأصحو
وأختفي في منعطف الفيلم الذي لم يُعرض بعد! . . .
لا تسلني يا صديقي، حتامَ أركض بجرحي المكابر
وما الذي أفعله لأستمر بعد موتي المتكرر. .
سل تلك النجمة التي لا تزال تومض
كعين طفلة معافاة في حضن قريتها اللامنسية. . .

١٩٩٠/٧/٢٠

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة الكتابة بالأزرق.. فوق البحر!

ليس صحيحاً، أن أقصر الطرق بين نقطتين هو الخط المستقيم!!
هكذا علمني تاريخي معك!
الحوار؟ إنه أطول الطرق بين القلب والشفتين
وبين موجاتي الصوتية وموجاتك الصمتية.
الحدس وحده قادني إليك..
وهو الذي صرخ ذات ليلة بلا صوت
إن شموعنا خمدت. وانتهينا.
والفراق دس السم في قهوتنا..
مرة، منحتك قلبي عارياً كورقة بيضاء
فحرّرت عليها خطة اغتيالي.. وشهادة وفاتي!!
ولم تغفر لي، لأنني غادرت موتي بك،
وذهبت مع النوارس إلى البحر..

★ ★ ★

من يدلني على مدينة لم تعرف القصف،
لأذهب وأعيش فيها؟؟..
من يدلني على حقول، لم يُدفن فيها خلسة
قتيل عذبوه قبل موته؟
من يدلني على أشجار،

لم تسمع انتحاب امرأة على حبيبها المخطوف؟
من يدلني على سماء
لم تشهد زرقتها ظلماً أو قسوة
أو فكراً يُغتصب عنوة؟
لقد تعبت من حبك وزمنك
ومن رجال مثلك يتباهون بحرفة القسوة . .
حبهم كتابة بالأزرق فوق البحر . .
من قال: حب الرجال ليس كالماء في الغربال؟

* * *

افترقنا، وها هو البياض الأخير . . يتسخ
كثلج المحطات حين تدوسه القطارات . . بهبابها . .
مرة، كانت يدي عصفوراً يرتعش داخل يدك
ويرجوك ألّا تطلق سراحه . .
ولكن يدك كانت مشغولة بإطلاق الرصاص وحياكة الشعارات . .
وها أنا ممتلئة بالوطن، والموت معاً . .
يركض الصدى في كهوفي كالأرواح الضالة . .
أكرس نفسي لرعاية فراقنا . .
أحرس العنكبوت الذي يغزل بهدوء
خيوطه فوق صورتك في عيني . .
والغبار يتراكم على شفتيك . .
ومن سواد عينيك يتدلى الخفاش . .
وداخل ثيابك، ينهمر الثلج حتى قاعك . .
والنباتات التي شهدت زمننا معاً
تركض هاربة إلى الشارع

وتتسلق الشرفات المجاورة.

★ ★ ★

كيف تركْنا الفراق يتناسل أعواماً..
في براري العنف المكهربة؟
وتركنا الرياء يرتدينا في ليل السهرات الاجتماعية؟
كيف ارتكبنا خيانة المطر؟
كيف تنصلنا من الصفاء في حانات الملذات اللزجة؟
كيف غدرنا بالرياح، وانحزنا إلى الستائر
وادعينا أنها أنجبت العاصفة؟..
ها هي الأطلال تقف على حاضرنا، وتضحك ساخرة
ولا تجدنا نستحق حتى البكاء!!.. ثم تهطل مطراً
كأم تغسل طفليها الملطخين بالوحل..

★ ★ ★

ها هي المدينة تهبط على المساء
ونساء سمينات يعلفن أطفالهن
ويبكين في زوايا المطبخ المعتمة
خيانات رجال يقامرون بالحب والوطن معاً..
نساء، يحكن خيوط الشيب بالمرارة البيضاء..
.. وها أنا أركض وحيدة تحت المطر، بلا رجل ولا وطن
وآلاف النوافذ ترمقني بعيونها المشتعلة العدوانية..
وكأية نعجة سوداء متمردة
أحيك خيوط حريتي بعيداً عن دروب القطيع..
وأحاول عبثاً اختراع مصير ثالث

لامرأة آتية من العالم الثالث..
«هل تريد أن تعرف سر قوتي؟
لا أحد أحبني حقاً قط»...
ها أنا أسقط،
لكنني مصرّة على ترك آثار أقدامي وآثار أقلامي
فوق عتمة الهاوية.. وبياض الورقة!!..

١٩٨٨/٧/٢٩

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة تطارحها بيروت الحزن

أعدو إلى النسيان،
فيجمح بي حصان الذاكرة. . .
أمشي وحيدة على محيط الكرة الأرضية،
ويركض خلفي ذلك الماضي كله كطفل يبكي. . .
بيروت، سرقت عتباتك مني خطواتي وأنا أغادرك. فكيف أمضي بعيداً؟
في كوابيسي، لا أزال أقف كل ليلة أمام أسوارك المزينة بجثث آلاف القتلى والمخطوفين،
ووجوه الشبان تتدلى فوق أبوابك كالمصابيح المطفأة. .
أقف وأستجدي النسيان،
وأقايضه بعمري الآتي، فهلاّ أطلقت سراحي من حبك،
كي أتزوج من الفتور؟

★ ★ ★

نمت خمسة عشر عاماً، نمت طويلاً. .
وحين استيقظت،
كان المذياع يتابع نشرة الأخبار ذاتها. .
والصحف تنشر صور المذابح نفسها. .
وحين حاولت أن أطل من النافذة،

فوجئت بأنهم سوّروها بالقضبان الحديدية . .
وشاهدت رجالاً يعمِّرون الأقفاص الإسمنتية،
وهم يهتفون باسم الحرية . .
أتذكر زمن الأفق حتى القمر،
يوم لم يكن التنفس خطيئة مميتة . .

(ولم تكن عدَّادات اهستيريا المسلحة تحصي الأنفاس وتكمِّم الحناجر. أتذكر زمن الصحو، بعيداً عن التنويم المغناطيسي لأكاذيب تنتعل الرصانة . . . قبل أن يأتي آخر الزمان حين تصنع العمامةُ شيخاً، ويصنع الرداءُ الكاهنَ، وقبل أن ينصب اللامعقول مسرحه في شوارعنا، وقبل سقوطنا في السوريالية السياسية بين يمين الدمار ويسار الكافيار، وقبل ذبح الضعفاء باسم «المستضعفين»، وقتل الثورة على يدي «الثوار»، وقبل أن تسود السوريالية السياسية ونصرخ «كلنا للوطن» ونذبح الوطن بالتكافل والتراضي . . . وقبل . . . وقبل . . . وبعد . . . وبعد . . . وقبل أن نفقد ذاكرتنا . . وماذا كنت أقول؟ . . . نسيت . . .)

* * *

لقد غدروا بنا . .
منحناهم رقعة القلب وحلم التوحيد والوحدة
فقايضوا بنا على رقعة شطرنج الأمم . .
وملأوا بدمنا برك سباحتهم المترفة
وشحنوا جثثنا إلى المنافي . .
وقلنا: غداً نعود . .
ورمل الزمن يتابع تدفقه فوق رؤوسنا . .
والآن، وحبات الرمل تكاد تملأ حناجرنا

ما زلنا نؤكد بلا صوت كالمجانين: غداً نعود. .

★ ★ ★

ذكراك يا بيروت مزيج من الدمع والتبغ
ورائحة زهر الليمون والبارود،
ومواكب العطور والغنج والجنازات،
وخضرة الأرز الداكنة ولهيب الحرائق،
وملوحة البحر الشهية وعويل سيارات الإسعاف التي عبثاً تكنس الموتى كلهم.
ذكراك مزيج سوريالي من الموت والحياة والجنون والعقل والإغماء والصحو. .
بيروت، شيء من الجنون على حافة المستحيل،
فراقك. .

١٩٩٠/٢/٢٠

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة مطعونة بالذاكرة

● ما الذي تفعلينه الليلة؟
ـ أهبّ على رياحك، وأتساءل:
هل في قلبك متسع لأحزاني؟
وهل في الليل متسع لجنوني؟
وهل في وطني متسع لتمردي؟
وهل في الموت متسع لموتي؟
وهل في الهذيان متسع لرفضي؟
وهل في الأفق متسع لصهيل رحيلي؟
وهل في الورقة متسع لحبي وبوحي
ولحرية ألعابي النارية؟...

★ ★ ★

● أنتِ متهمة باغتيال روبنسن كروزو...
ـ أحيط نفسي بحقل سليط الهدوء،
وأسوِّر هاتفي بصمت فظ،
أكهرب المياه المحيطة بجزيرتي،
وأعمِّر من الموج أسواراً شاهقة،
وأعلن نفسي «جمعة»...
وأقتل روبنسن كروزو مع مطلع كل صباح..

لأنفرد بصوت روحي، وأنتحب
بينما الأبجدية تكتب نفسها بين أصابعي...
فأنا مواطنة ملدوغة بالوطن،
مطعونة بالذاكرة، مضرجة بالهزائم
مغدورة بالالتباس بين «الثورة» و «الثروة»،
وقد شبت النار في أطراف قلبي
وخلفته مثل ورقة تسلى طفل عابث بإحراقها...
وعبثاً أروض حياتي على حبال ذلك السيرك العربي الكبير،
وعبثاً تقنعني سياط المروض،
بأداء «نمرة» الرقص على الحبال معصوبة العينين...

* * *

● **لماذا تحبين غرف الفنادق؟**
ـ لأن غرفة الفندق مكان بلا ماضٍ
ولا تعذبنا فيها فلول «النوستالجيا» وجند الذكريات..
غرفة الفندق منطقة حرة، بين الطعنة والطعنة...
● **ولماذا ترتحلين وحيدة حتى من صديقة؟**
ـ تدّعي أنها صديقتي،
وهي تتحسس عمري بإعجاب لا زيف فيه،
كما تتحسس نجمة المجتمع
فراء فقمة حيَّة تشتهيها معطفاً بعد ذبحها!...

* * *

● **لماذا تسخرين من كل شيء؟**
ـ لا أسخر من حبك،

فقد مررتَ بغرفتي،
وكتبتَ على ستائري الرمادية
خضرة الحقول وأفراح السنابل،
ورسمتَ على الملاءة البيضاء لسريري
براءة البراري لحظة الفجر
وها أنا أطارد حصاناً برياً تحت وسادتي...

* * *

● **ماذا علَمك حبّي؟**

- علمني أن الغول والعنقاء والخلّ الوفي،
حقائق مؤكدة،
فقد عايشتها جميعاً حين خطوت داخل مرآتك..
فراقك الغول
وجنوني بك العنقاء
والموت وحده هو الخلّ الوفي
الذي لم يخلف يوماً موعده مع أحد..
وأنا متّ مرات بك ومعك.. وبدونك...

* * *

● **ماذا تتمنين؟**

- أن يصدق وعد الضوء في آخر النفق..
وتمتلىء بيروت بزينة ميلاد السلام والمحبة،
شجرة ترقص ضوءاً داخل كل قلب..
أريد أن أتمشى معك على الشاطىء
دون أن تصطك أسنان الأسماك ذعراً..

أريد أن نراود بيروت عن نفسها بالمحبة،
دون أن تغلق البيوت أجفانها ونوافذها المعتمة..
ويهبط أطفالها إلى الملاجىء على حبال الخوف...

★ ★ ★

● متى تكتبين حكاية حبك معنا، بيروت وأنا؟
ـ حبك من أمامي
حبك من ورائي
فأين المفر؟
وكيف أتحول إلى سحابة
تحلِّق فوق معاركها وقتلاها
لتخطَّ بهدوء بارد كمشرط، محايد كمصباح،
تاريخها مع حصان طروادة...

١٩٩٠/١٢/٢٨

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة نسيها النسيان

● أيتها الغريبة،
أما زال في قلبك متسع لحبّي؟
- حبك لا يتسع له النسيان يا سيدي...
● ولكنك تحاولين مسح توقيعي عن جلد زمنك
بممحاة الزمن...
- أقتلك عند منتصف الليل،
وأتركك في الحي اللاتيني تتخبط بدمائك،
وحين أعود منهكة لأنام،
أجد شبحك متربعاً فوق وسادتي..
وعلى فمه ابتسامة انتصار.. وأنهار..
● وحينما أرحل، هل تفلحين في إلغائي؟
- ليل نهار، حضورك مهيمن في كل لحظة،
وإن كنت أعجز عن لقائك ورؤيتك
عجز العين عن رؤية الحاجب...
ما هو النسيان يا سيدي،
وأنت حين تزورني في كهفي الباريسي وتمضي،
تنمو شجرة ياسمين قرب مقعدك الخاوي،
وتفوح رائحة البحر البيروتي من آثار أقدامك...

★ ★ ★

● **ولكنك متمردة حتى على حبّي. . .**

- وهل عليّ أن أقيد الغجرية التي تقطنني
بالسلاسل، إلى حجارة سجنها. .
وأجلدها بسياط الرياء لتتعلم الطاعة للتثاؤب؟
أم أعلن على الملأ
أن حياتي تزوجت من موتي، على قارعة التمرد،
فأنجبا طوفاناً من الحبر
راكضاً كالنمل على أوراق الدهشة والفضول. . .
متمردة؟ ربما، على المنطق اللامنطقي للأشياء. . .
ولأنني أصدق حبنا،
أقسم بالتحليق أن بساط الريح حقيقة واقعية،
حينما تمسك بيدي،
ونقلع معاً عن شواطىء لبنان المقمرة، إلى القمر نفسه. . .

● **متمردة مثلك، كيف تحب حرفي «التراثي» الصياغة؟**

- أعشق النجوم، رغم أنها «كلاسيكية»!. . .
هكذا أحب رياحك التي تتقن عربية أجدادي
وتعيدني في كل سطر
حبة رمل مطيعة في صحارى بلادي. .

* * *

● **ترحلين كثيراً، فهل نسيت لبنان؟**

- أرحل وأنا أخبىء في قلبي
قرى متوَّجة بالقرميد الأحمر،
تقطنها عصافير الذكريات وفراشاتها الذهبية.
أرحل بدروب جبلية لهثنا معاً

ونحن نتسلق أشواقنا وجموحنا فيها،
وشطآن اخترعت أبجدية الأفق...
أرحل ببيوت خضر احتوتنا معاً،
أغلق عليها ضلوعي بعد أن أقفل أبوابها جيداً
بمفاتيح صمت يشبه البكاء المتعجرف بكبريائه..
أرحل وأنا أخبىء في قلبي وجوهك وأصواتك
ويدهشني كيف لا تصفّر الماكينات الأمنية في المطارات
حين أعبر مضائقها ووطني في شراييني،
وكيف لا ترتسم صورتك في قاع ذاكرتي
على شاشات أجهزة كشف الخفايا والدواخل...
لا أريد أن أنفش الحروف كالقطن
حين أتحدث عنك وعن وطني،
ولكن حين تهرول أحصنة الليل السود فوق رأسي،
ماذا أقول لك، وأنا أتناول ذكرياتي
كالخبز المسموم على موائد الفراق؟

* * *

● **وبيروت؟**

- آه كيف يتكوم البكاء في حضن الليل ويبكي
ويرتجف كقط صغير مذعور،
كلما نسي نسياني بيروت...
وأنا أتابع عبثاً مشيتي المتعجرفة على الذكريات
في مدن جديدة، أصرّ على أن أتعلم حبها
كما تعلمت لغاتها، وعبثاً أحاول،
فالمرء لا يملي على نفسه أحلامه وكوابيسه!...

بيروت؟ ثمة ضوء في آخر النفق،
فلنصلِّ من أجله ليلة رأس السنة بخشوع،
بدلاً من هستيريا سيمفونية «الزمامير» والبالونات المفقوءة. .
● **وكيف ترين ما حولك؟**
- أراه مصحّاً عقلياً للسوريالية السياسية. . .
من رسم هذا الشطرنج الجهنمي وخلط أوراق اللعب
ولم نعد نميز بين «الثوار» ويسار الكافيار والدولار؟
لماذا تقيم نفرتيتي في برلين،
وما الذي أفعله أنا في الحي اللاتيني الباريسي،
وكيف تناثرنا هكذا بين القارّات غربة مغتربة؟
● **ماذا تخبىء الأيام لحبنا؟**
- لك أن تختار،
بين أن تظل هكذا، نجماً بعيداً يضيء حياتي بهدوء
وبين أن تهوي مرتطماً بأيامي كشهاب مجنون
لنحترق معاً. . .
لك أن تختار، بين مباهج البعد والشفافية والأبجدية
وبين محرقة العابر المشتعل الشهي كمذاق الفطر الشيطاني. . .
● **وأنت ماذا تقولين؟**
- أقول كجدي الشاعر: «أمران أحلاهما مر» فراقك ولقاؤك. . .

١٩٩١/١/٤

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة في سهرة يسار الكافيار

بين ثلوج مطار زوريخ
حطت بي طائرته الخاصة
غرقت في المخمل الوثير لسيارته «الرولز رويس»،
عابثةً بتلفزيونها المصفح بخشب الأبنوس والعاج..
وصوته يداعبني عبر هاتفها الذهبي..
أمام مرمر قصره، انحنى السائق وأنا أهبط،
وتقدم خادمه يمسح نعل حذائي بماء الورد..
إلى ملكوت سجاده العجمي الوثير خطوت،
وترنحت في غابة تحفه الصينية والعربية والإسبانية..
وشهقت ذهولاً أمام كنوز مغارة علي بابا السرّية..
حتى أطل مولاي سيد القصر..
وبدأ الخدم رقصة باليه العشاء..
وجاء الساقي مرتدياً «السموكن» والقفازات البيض..
وقدم لنا شمبانيا «دوم بيرينيون»،
فشربنا نخب «البروليتاريا» وعامها الجديد،
في كؤوس من ذهب...
والتهمنا الكركند المشوي وحساء السلاحف ولبن العصفور..
وهو يناقش «بثورية» نضالية،

قضايا الجماهير «الكادحة» والكادرات «المسحوقة»..
وأنا صامتة كتفاحة، مستمعة كدخان لفافة..
وقرر أنني محدِّثة بارعة،
بالرغم من أصولي البورجوازية،
وثقافتي الإنكليزية الاستعمارية والفرنسية المنحلَّة،
وماكياجي الإمبريالي!..
وبعدما شتم طويلاً الأنظمة «الوراثية» التقليدية
وبشَّر بحكمه الديمقراطي الحرّ المنفتح،
قدَّمني إلى ابنه الشاب،
وليّ عهده ووارثه في إمارة «المسحوقين»..
كان الصبي لا يتكلم العربية،
فهتفت بالروسية والأميركية واليابانية والكورية
بحياة مليكنا البروليتاري الآتي!!

١٩٨٩/١/١٣

عاشقة كلماتها بلا شفاه

هل تبقَّى في أعيادك غير البكاء
وركض الهياكل العظمية، وأقنعة الجماجم
يا أمير الذكريات يا لبنان؟
سجينة أنا داخل أمسيات التنهّدات اللامنسية
فأطلق سراحي في ليل الطقوس الجهنمية
حين يدخل حزني في حزنك كسيف يعانق غمده
والجنون يفكّ أسارنا معاً في طواحين البرق. . .
لم أرتد معطف الشيطان
ولم أزين شعري بوردة النسيان
مراكبي تشكو التشرد
ومراكبك المحترقة تشكو عربدة قراصنة المياه الآسنة. .
بهدوء، أعلن انكساري أمام سطوة جرحك
وأعود لأتزين بهباب حرائقك
وعبثاً أغسل يدي منك في نهر السين
على إيقاع الجنون العابر في ليل النزوات،
وها هو حزني يمخر شوارع الثلج
بحثاً عن تقاطع خطوط الشمس والقمر في جبالك. .
لم تنكفىء الأشواق يا أمير الذكريات

ولكن قمر الغربة،
أضاء مصابيحه الكشّافة داخل عيني
كي لا أراك وأنت تغادر صدفة البحر
لتقطن جرح قلبي..

١٩٨٩/١/١٣

عاشقة في سهرة باريسية

ثمة شيء هزلي في علاقتنا . .
تريد مني أن أرتدي ثياب «ديور»
وأتعطر مثل أميرة موناكو
وأحفظ الموسوعة البريطانية
وأستمع إلى «برامز» ،
شرط أن أفكِّر كما كانت تفكِّر جدتي!! . .
تريدني متعلمة مثل «مدام كوري»
ومغرية مثل «مادونا»
راقصةً بجنون في ليلة رأس السنة
مثل «لوكريس بورجيا» ،
شرط أن أظل (محافظة) مثل عمتي المحجبة
ومتصوِّفة مثل «رابعة العدوية»!! . .
ولكنك نسيت أن تقول لي كيف . .

١٩٨٩/١/١٣

عاشقة تسهر مع قارىء

أنت قريب مني أينما كنت وكيفما كنت . .
ثمة ضوء أسود يشعّ من القلوب الحزينة . .
فتلتقي على ذلك الجسر الأبجدي . .
وتتعارف بلا صوت . .
وتقرأ بلا شفاه . .
وتمسك بأيدي بعضها بعضاً بلا أصابع . .
لك أهمس : كل سنة وأنت قارئي . . .

١٩٨٩/١/١٣

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية .

عاشقة مع وقف التنفيذ

اقترب، شرط أن تظل حيث أنت
لا تقترب كثيراً كي لا تصير بعيداً..
أكرر: أعشق الحب قبل الحبيب
فالحب تدفق ضوئي في الاتجاهات كلها
وصدر الحبيب قفص لسَجني.

* * *

أقرع رمال الشاطىء
تفتح بابها الذهبي. تروي لي ذكرياتها معي
أيام كنت موؤودة في قاعها
قبل أن أطالب بميراثي من الشمس
أقرع باب الموج، فيفتحه لي بأصابع الزرقة
مشيراً بها إلى الأعماق، حيث مقالع الأبجديات البكر..
أطير في الشوارع الخلفية لمسارحك
أقرع باب قلبك
دون أن ألحظ اللافتة المضيئة التي تقول:
«لم تبقَ أماكن شاغرة»..
أتابع طيراني الليلي سعيدة برفضك
متعتي أن أظل أغرد للحب، لا أن أعيشه،

وأن أعزفه على الأصابع البيض لبيانو الورقة
حتى أسقط في منتصف البياض
قطرة حبر تحاول رسم أجنحة لتحلّق بها!

١٩٩٢/٤/١٠

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة المخاطر الشهية

لا عرش لي غير فضائي . . .
لا صوت غير صمت رياحي . . .
ياسمين الوطن، وغابات التشرّد
قرع الطبول، وثرثرة الببغاوات
واشتعال القلب على بشرة الشواطىء المتوردة . . .
وبطاقة بريدية،
أسطِّر عليها عبارة «أحبك» بكل صدق
ولا أعرف إلى من أرسلها!! . . .

★ ★ ★

أعيش حبّاً على غير هدى . .
حبّاً ماكر الأفراح، متأرجحاً داخل مراياه
كالمدن المشيدة فوق الماء . .
فهل تجرؤ على أن تمد يدك،
وتفتح ظل الباب المتماوج فوق صفحة المياه
وتقبلَه مني . . ذلك الحب الضال . . . وردة سوداء،
في ليل المخاطر الشهية لامرأة زئبقية الأمزجة
تعشق الحب وتكره الحبيب؟ . . . (أو تكاد!) . .
حين يكون إخلاصي لك، خيانة لذاتي

أشهر صدقي في مملكة التقاليد.. وأعلن أظافري..
ومن أعماق وحدتي أنادي الحب، وأطرد الحبيب..
لأغني على عود بلا وتر
أعذب الأغنيات التي طالما انتحبها ناي القلب
بصمت وحشته وبتأجج جوعه إلى المجهول.. والدهشة
بعيداً عن القصب الفصيح لغابات الرياء..

* * *

تلك الطفلة،
وجدتْ نفسَها فجأة متنكِّرة داخل جسدي..
متنكِّرة داخل عمري واسمي وشهرتي..
ساقطة في شرك أدواري
تجلدها أمزجتي الزئبقية وحكايا حبي الغامضة...
لكنها لا تزال كل ليلة،
تهرب مني حين أنام،
وتفتح باب الكهف
لتهرول وحيدة في كوكب الحلم
دون أن تضلَّ الطريق إلى القمر...

* * *

لأنني سبحت إلى أبعد ما يمكنني في البحر
لأنني نبذت أطواق النجاة
ومراكب خطوط الرجعة..
لأنني كنت صادقة
في حكاية حبي مع أسرار الأعماق وجموح الأمواج

وقارّات الدهشة المحفوظة في كتاب القاع
وجدتُ نفسي حين تعبتُ وغرقتُ
وحيدة مع الشماتة والإعياء والدوار وأسماك القرش. .
وحين نجوت وعدت،
استقبلوني كالفاتحين! . . .
هكذا تقضي قواعد اللعبة في مملكة السردين! . .

★ ★ ★

أتأمل دمي،
وهو يغادر ذلك الجرح الصغير
في إصبعي، ويسيل بهدوء، ربما إلى ما لا نهاية. .
وأكتشف فجأة،
أن كوني كله،
ليس أكثر من منطاد هشّ
سيدمّر تحليقَه ثقبٌ صغير. .

١٩٨٩/١/٧

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة الأسرار العلنية

● أيتها المرأة، ماذا تريدين؟
- أريد المزيد من الأصابع
لأشير بها كلها إليك،
وأصرخ: هذا حبيبي.
● أيتها المرأة، كيف بدأت؟
- ولدت طبعة غير منقحة
لكتاب أحرقه جدي مرات ومرات...
ثم دفن بقاياه في الرمال والرماد..
ومنذ ألف عام وأنا أقضي عمري،
في إصدار طبعات جديدة له،
وأحاول تصحيح بعض الأخطاء..
التي اقترفوها ضد حياتي.. لضرورة الشعر!..

★ ★ ★

● أيتها المرأة، أين تعيشين؟
- في جمهورية العنكبوت، حيث يحكمون
على العاشقة، بالإقامة الجبرية في ثقب الباب...
محرَّم علينا الإقامة داخل المهرجان
لنشارك أهل البيت تقرير مصير الأسوار

ومحرَّم علينا الرحيل بعيداً خارج سماعة الهاتف . .
لقد غادرت أوكار الهمس،
وأعلنتُ أجنحتي ضد خفّاش الخرائب . . .
وعلى خرائط اللعنات طرت إليك
وبوصلتي الصدق المتأجج تحت الشمس . . .
وعلى جبيني كتبت عنوانك
وألصقت رسمك طابع بريد . .

* * *

● **أيتها المرأة هل تحلمين؟**
- حلمت أننا سمكتان شفافتان
تسبحان معاً في بحر أزرق شاسع . .
وعيناك ترمقانني بنظرة كالموسيقي الحنون . .
وحين استيقظت، لم يدهشني أن ماء البحر
كان لا يزال يقطر من شعري . .
من يقنعني بأن ما أراه في أحلامي
لا يحدث لي حقاً؟
● **أيتها المرأة، ما هو شعارك؟**
- في العجلة السلامة، وفي التأني الندامة!
هكذا علّمني حبك . . .

* * *

● **أيتها المرأة، علامَ تشهدين؟**
- أشهد على مكتبة الجنون . .
وأراها طردت صاحبها وتوّجت جرذانها وعناكبها . .

وها هو خشب رفوفها،
يتحول ثانية إلى أشجار. .
وها هي كتبها تقرأ جيداً وجوه القراء. .
وتطرد معظمهم!
وثمة كتاب يلتهمني عند نافذة الحديقة. . .

● **أيتها المرأة، هل تذكرين؟**

- أعجز عن استحضار حكاية حبنا وتأملها
والتحديق فيها حريقاً بعد آخر
كما أعجز عن التحديق في الشمس. .

● **أيتها المرأة، ماذا يخيفك؟**

- أخاف من الأشباح، وأحزن لأنني بعد موتي
سأتحوّل إلى شبح،
وسأخيف امرأة أخرى وحيدة مثلي!. . .

١٩٨٨/١/٨

عاشقة تمطر الياسمين

● **أيتها المرأة، هل تكذبين؟**
- عذبة هي أكاذيب العشّاق ، وبريئة
تهز بذيلها مثل كلب صغير يلاحقك،
حائراً كيف يغتصب الحنان ولمسات الرقة .
● **أيتها المرأة، هل أنت حزينة؟**
- ثمة مأساة صغيرة في حياتي
اسمها التفتيش عن يد شاسعة كوطن
دافئة كحضن جدتي الدمشقية اللامنسية
جدتي «خيرية» التي تتعرق عطراً
ويتساقط الياسمين من ماكينة خياطتها العتيقة! . . .
لست حزينة، أنا حزن العالم
ففي صدري وطن يبكي . .

* * *

● **أيتها المرأة، اطرحي على نفسك سؤالاً .**
- هل كنتُ حقاً ذات يوم طفلة عذبة . .
أم ولدت كما أنا الآن، شرسة جارحة ومجروحة؟
هل كنت ذات يوم عاشقة مجنونة الطيش
هل ركضت خلف رائحتك في الليل،

كالكلاب البوليسية، وتلصصت على سيارتك وهواتفك ونسائك،
ورصدت أنفاسك كمؤسسة مخابرات محنّكة تصيرها العاشقة؟ . .
وهل سأقدر على أن أظل أسبح بهدوء
داخل محبرتي، وأتأملك، وأكتبك بالمحبة والسلام
أم سأستيقظ فأجد نفسي راكبة حصان الجنون،
راكضة إليك في سباق الحواجز من جديد؟ . . .

١٩٨٨/١/٨

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة المباهج الماكرة

- ما هو أسوأ ما حدث لكِ في السنة الماضية؟

- حبكَ!

- ما هو أجمل ما حدث لكِ في السنة الماضية؟

- حبكَ!

١٩٩٢/١/٣١

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة السرّ

رجل ممحاة
أصابعه تمسح ضوضاء الذاكرة
وتعيد القلب سبورة نظيفة
لطباشير الأطفال الملوَّنة.
رجل زئبق، تخسرينه إذا حاولت الإمساك به.
عصفور مستحيل يحترف إضرام النار في الأقفاص.
رجل مجرَّة،
لا يطيق سجن البحر الشاسع
راحلاً أبداً إلى ما وراء جدار الأفق.
رجل كالخرافة يعبر النساء كالظل
في مواكب أمومة تنجب الدهشة.
رجل كاللغم الشهي فوق أرائك الانفجار الضوئي الملوَّن
رجل الحضور الخفي،
الحاضر ولكن تحت جلدي، كالضوء داخل المصباح.

* * *

متأججة بحبك، مشتعلة بحرائق جنوني
ولكن داخل صَدَفة العقل المتكلسة
المتسترة حتى على دخان نيرانها السرّية..

وأصابع حبك تهزني من كتفي
كلما ذهبت لأنام، وتوقظني خلية بعد أخرى.
آه متى يتنهد الكسل ملاءاته البيض لسريري،
متى يهديني الكسلُ التثاؤب ووسائد الفتور؟

١٩٩٢/١/٣١

عاشقة الأوهام الحقيقية

كثير من الأصباغ والأقنعة والقهقهات البكائية
كثير من ثرثرة دخان السجائر والأحلام الرثَّة
كثير من القلّة والقحط . .
وها أنا وسط ذلك الجنون الهذياني الموسمي
وحيدة في الركن، نملة على طاولة الكؤوس الثملة
أخطّ هذه السطور إليك
لأقص في ورقتي البيضاء نافذة
أقفز عبرها إلى الغابة
وأركض صوب ضوء كوخك .
شاسع هو الأفق الذي أعرفه ،
شاسعة هي الآفاق التي أجهلها . .
قلبي يحدثني : لا شيء هنا
لا شيء هناك
وحبك الوهمي
حقيقتي الوحيدة في هذا الخواء المريع . .
ولولاك ، لعمّرت هرماً من . . خيباتي !

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية .

١٩٩٢/١/٣١

عاشقة من أول لدغة

منذ ألف عام وأنا أحبك!
مثلك أنا، لا أؤمن بالحب من اللدغة الأولى
لكنني أعرف أننا التقينا من قبل
منذ عصور، داخل الخرافي الحقيقي.
وتعانقنا صورتين على صفحة مياه الأبدية
ولا يزال ظلك يلاحق ظلي عبر العصور
داخل المرايا الأزلية الغامضة للحب
ولا أزال ممتلئة بك في خواء القرون المتتابعة..
وثمة غجري، يضيء مصابيح الحنين
وهو ينشد على غيتاره
ما تخطه لي فوق أوراق الريح من أشعار..
وثمة غجرية ضالة في غابات العصور
تطارد فتات خبز ذكرياتها الآتية معك
كي لا تضلّ الطريق إلى «الكوما» الروحية...

١٩٩٢/١/٣١

عاشقة منتصف الليل

عبثاً أطلق سراح نزواتي الغجرية
من حضورك المهيمن اللاملموس
عبثاً أنهال بفأسي على ظلِّك فوق جدار عمري
فينهدم الجدار، ويبقى الظل! . . .
لستُ من اللواتي يحوِّلن الحب
إلى مروحة صدئة
لا تتقن غير الدوران في سقف الانتظار
وحبك يطلق سراحي حتى من حبك
لكنني كنت أشتهي أن يكون وجهك
أول وجه يطالعني مع زفرات أنفاس العام الجديد!

١٩٩٢/١/٣١

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة الفراق

وسوسني الحب،
وسوّل لي أنني غابة شاسعة تحت القمر. .
فلم ألحظ تلك الليلة،
أنني لستُ أكثر من شجرة أحرقها الإعصار،
ولم أسمع أصوات الحطّابين
وهم ينهالون بفؤوسهم على جذعي. . .
يا صديقي،
تبادلنا الأدوار
مرة أنت المطرقة،
ومرة أنا المسمار. . .
ويضحك في سره الجدار. . .

* * *

كأية مجنونة حرف،
تعشق الحب وتكره الحبيب
لا أريد أن أتعرّى من حبك
كي لا أفقد ذاكرتي
ولا أستطيع أن أرتدي حبك
كي لا أفقد ذاتي. .

أريد أن أتلاشى في حبك
كما يتلاشى جسدي في النوم،
وأريد أن أنهض من حبك
صباح اليوم التالي، كمن ينهض من حلمه،
كأن شيئاً لم يكن. .
ولكن كيف؟ ومنْ يستطيع أن يؤكد
أن ما نراه في أحلامنا
لا يحدث لنا حقاً؟. .
ولماذا كلما أهديتني وردة في الحلم
أجدها على وسادتي فجر اليوم التالي؟

١٩٨٩/١/٧

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة يراودها البكاء عن نفسها

. . . ولم يعد المطر يهطل على الورقة
حينما أخطّ اسمك عليها. . ولم تعد العصافير
تقطن أعشاش حروفه ونقاطه. . .
ولم يعد قلمي يغرورق بالحنين، ويحاول الانتحار
حينما أسطِّر به عبارة «وداعاً» لزمنك. .
ولم تعد محبرتي
تستحيل بحراً شاسع الزرقة والضوء
وهي تسيل حباً في رسائل تمجيد لعينيك. .
وها أنت تتحوَّل في برادات النسيان،
إلى ذكرى مثلجة وبغيضة،
كجثث المجرمين الذين لا يتعرف عليهم أحد. . .
كم كنت أكره تعليب حبنا في قصائد. .
تمهيداً لدفنه في تابوت له دفتا كتاب. . .
بعدما كان طليقاً في الغابات والبراري والشواطىء. .
بين صور وبعلبك وبرمانا والأرز. . و. . و. .
ولكنك أضرمت النار في دفتر الأشجار. .
وكان حبك عيداً من الصفاء والأمل،
فصار كرنفالاً في مصحّ عقلي

أطباؤه أعنف مجانينه!..

★ ★ ★

لا أستطيع أن أتملقك كما يفعلون..
ولا الادّعاء بأن مسدسك أنيق وشفاف،
ورصاصك موهوب، ومدافعك كمنجات الفرح
ومتاريس رملك تحف معمارية..
ومجازرك «تكتيك» بارع لإستراتيجية «إنسانية»..
وأنت تستحم بلعنات المشردين والمعاقين والثكالى.
وتذبح عيد الأطفال،
وتشنقهم من شعرهم إلى الأراجيح
وتصنع من جلودهم المسلوخة أحذية لمرتزقتك..
وتطرب لجوقة قراصنتك، وناهبي سفن الأبجدية
وهم ينشدون «فعولن مفاعيلن» لمجدك..
والأفاعي تشاركهم الفحيح..
والأيدي المقطوعة تصفِّق في فراغ الوطن.
ونحن نحتضر في الملاجىء لحكمةٍ نجهلها!...

★ ★ ★

لأن وهج الشعارات ليس خبزاً وحرية وأمناً
لم يعد بوسعي اختراع التبريرات لجنونك الموسمي..
... ولم يعدْ جلدي يرحِّب ببصماتك..
فمكانها في متحف المجرمين السفاحين الكبار...
وأنا أنتمي إلى قافلة الشعراء «الحمقى»،
الذين يجهلون مزايا التغزل بالجزرة والعصا معاً،

فابحث عن مؤرخ سواي . .
يُزيِّف تاريخك مع الخنجر والدم والعيون المفقوءة،
على طول خمسة عشر عاماً من الـظلمات،
واختطاف العيد رهينة في أقبية غرورك . . .

* * *

بكاء يركض في الشوارع عاري القدمين
كالأطفال المذعورين من القنابل والألغام معاً . . .
. . كان حبك كقبعة الحاوي المشعوذ،
خاوياً، ومليئاً بالأوهام الجميلة الملوّنة . . .
وصرت حينها تقبِّلني
أتحول من أميرة إلى ضفدع
وأكون مستيقظة، فأنام دهراً من الكوابيس . . .
تعبت منك، ومن أقنعتك وألسنتك وببغائياتك . .
تعبت من سفاحي ملصقاتك، طواويس الغطرسة . .
«شهداء» النهب في شتاءات الدم واللعنة . .
تعبت من الخرائب المعلَّقة والأوبئة في ركابك . . .
والحرائق تشتعل في موطىء قدميك . .
تعبت من محاضراتك عن «الكادحين»
في فنادق «الباهامس» ومنتجعات «هاواي» . . .
وتعبت من بياناتك عن «المسحوقين»
تسطِّرها في طائرتك الخاصة
وأنتَ تغطس قلمك في سواد الكافيار الإيراني . .
سئمت محاضراتك عن التَقى،
ورائحة الشمبانيا تهب من فمك،

وبالرغم من عبير عطرك الفرنسي الثمين،
تظل تفوح منك روائح أدوية تحنيطك . .
وفي ظل هذيانك «النضالي» المزور و «رفاقك»
صار العيد يطارحنا البكاء
والهجرة تراودنا عن أنفسنا . .
والموت يغتصبنا في الملاجى . .

* * *

لم تترك لنا من العيد غير زيارة المقابر . . .
أركض في مقبرة لبنان الشاسعة . .
أقرع شواهد قبور أحبائي بطرف قلمي
يطلعون منها ودمهم ما زال ينزف
ويسألونني: لماذا استدعيتنا! هل تبدَّل شيء؟
هل عادت أميرة الحرية من غيبوبتها
وانتهت مهرجانات مصاصي الدماء؟
وهل صار العيد ضيفاً مكرماً
في شوارع العويل والكراهية العمياء؟
وأدفن نفسي في أكفان خجلي منهم،
وأهمس بعار تلميذ كسول: لا . . . لم . . .
ويعاتبني الأموات: إذاً لماذا استدعيتنا؟
وأنهمر أشواقاً وحزناً وبكاءً: لقد افتقدتكم! . . .

١٩٨٩/٥/٥

عاشقة تكتب على سطر الأفق

من زمان، استيقظت ضجرة في دمشق. . .
رسمت مركباً، وقفزت إليه
فأبحر بي إلى حيث لا أدري. . .
كان البحر هائجاً، فحاولت أن أرسم مرفأً
وأمواجاً هادئة، والمركب يزلزلني ويعلو ويهبط بي. .
ولكن الأوان كان قد فات،
أو هكذا ادعى قدري!
من زمان، استيقظت ضجرة في دمشق
ذهبت إلى المحبرة لأستحمّ وأستجمّ
وسبحت طويلاً حتى غرقت. . .
وحين جاء حبيبي رامياً إليّ بطوق نجاة
هجرته، لأن الأوان كان قد فات
(أو هكذا ادّعى قدري!)

ومن يومها وأنا أطفو وأغرق. . . قلبي حقيبة سفر مملوءة بالمنافي وضجيج القطارات، والفجر الرمادي في المطارات، ووجوه الغرباء المتشابهة في قاعات «الترانزيت» والحب «الترانزيت» والعمر العابر ككل شيء آخر. . . قلبي حقيبة سفر لحياة مصرّة على أن تظل كالريح تصهل صدقها، قدماي خشبتا تزلج على ثلوج الغربة، وشفاه

التشرد المزرقة تقبلني كل فجر في عنقي، وأنا أتزلج على الذكريات، ولكن لساني لن يعقد صلحاً مع الببغاوات.

١٩٩٠/٣/١٦

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة تهمس: تَكْ تك تك تك

أنهمر حزناً على أصابع الآلة الكاتبة
كصفصافة تنتحب عصافيرها
تك تك تك في قلب الظلام الدامس
تعني أنني لست امرأة من المعدن
تك تك بأصابع تشتعل قهراً
فوطني ليس رقعة شطرنج
وذاكرتي عبثاً تنسى حكاية حبها
مع عبد الرحمن الداخل، وحقول البرتقال اليافاوي الحزين
في الجرح بين إسكندرون والناقورة والجولان وحيفا وغرناطة وحطّين.

* * *

تك تك تك في قلب الظلام
برقية .S.O.S إلى من لا يهمه الأمر
في ليل عمره قرون بين مطلع فجر الحلم وحتى غروب النبض
تك تك تك، أضرب قلبي على الآلة الكاتبة
ثم أضرب روحي ميدالية تذكارية، تعويذة ضد النسيان،
وأنا أعرف أن الشخير أنشودة «الضمير»
وربما لن يسمعني أحد...
تك تك تك يا رياح السموم الجهنمية،

فلا تكتمي سرّ بدوية من أحفاد السندباد الجوي
ضربت قلبها حروفاً
مِثْل وحيد في أرخبيل اللامبالاة
يخط استغاثته ويرمي بها في زجاجة،
من مناطيد الحلم
إلى أمواج المجهول الآتي في القاع
مراهناً على الأحصنة العربية للأحفاد.
تك تك تك أيها الشخير الذي يضم عشّاق غسيل الدماغ
إلى صدر عباءة النوم، أعرف
لن يسمعني أحد... لكنني أنتحب كي لا أختنق...

* * *

تك تك تك يا رفيق أضواء الدرب
وهي تنطفىء مصباحاً بعد آخر.
حزينة من أجل الأيام التي عشتها معك
حزينة من أجل الأيام التي لم أعشها معك
حزينة من أجل الأيام التي تعيشها المرأة الأخرى معك
منذ افترقنا وأنا أحسدك، فكيف ألومك؟
حسدتك راحلاً بحقيبة التخدير
حين بقيت وحيدة أخطّ مناشير اليأس المضاد المكابر
لأوطان يلتهمها الرخ، ويطعنها وهم الخلّ الوفي.

* * *

تك تك تك كيف ألوم هربك

من مستنقعات الرمال المتحركة المزيَّنة بالشعارات المزورة..
تك تك تك ماذا منحتك غير غثيان الصحو
ما دمتُ أريد ارتداء الخاتم السحري في أصبعي
(وأفركه ليأتي جنيّ الحب) لا الخاتم الزوجي..
أريد أن أعقد قراني على ليالي الدهشة
لا على أنين الخيول في إسطبلك..
أريد أن أعاقر الحرية وأعاني سكراتها
ولا أريد الزواج من مسمار يدقني إلى جدار..
فماذا أفعل بتلك الروح الشقية التي تلبّستني
لعنةً مباركة منذ ولادتي في فراش شاسع
يمتد من تطوان إلى الشام؟!

★ ★ ★

تك تك تك في قلب الظلام
رسالة طابعها البريدي اسمه السرّ
فحبي لك صامت وعميق مثل جرس تقرعه الأمواج
ولكن في قاع البحر..
حبي لك ساكن وأخرس ومتكلّس
مثل صخرة في جزيرة مقفرة
لا تقول غير صمتها.

★ ★ ★

تك تك تك في قلب الظلام
الليلة أشعر أنني مستنزفة ومتعبة
مثل شريط آلة كاتبة

ركضت فوقها مطارق الحروف طويلاً...
الليلة، عيناي لا تلتمعان
مثل تينة برية نضرة لم تُقطف بعد.
الليلة افتقدتك في شوارع نيويورك
وهي تحدق بي بعين من زجاج وأخرى من إسمنت،
الليلة قلبي مترع بالليل البيروتي أيام الأحلام الكبيرة،
الليلة افتقدتك...

★ ★ ★

تك تك تك في ظلام القلب النيويوركي النابض بالنيون
حتامَ تطاردني في عقر نومي
وتداهمني على حين غرة، وروحي فضفاضة
كثوب منشور على ضفاف الحلم والكوابيس
بين الحب والموت وقواميس الخيبات؟

١٩٩٢/٢/١

عاشقة ورَقَتُها عانس

جئت لأكتب. . .
كانت الورقة بيضاء،
حتى البهاء المطلق للياسمين. . .
نقية كثلوج لم يطأها حتى عصفور. . .
وقررت أن لا ألوّثها. . .
صباح اليوم التالي، تلصّصت عليها،
فوجدتها كتبت لي: حمقاء!. . .
لوّثيني كي أحيا وأحترق، وأطير إلى العيون. .
وأكون. . .
لا أريد أن أصير ورقة عانس!. . .

١٩٨٨/٦/١٠

عاشقة ماتت غرقاً

حين أموت،
لا تكتبوا اسمي على شاهدة قبري. . .
ولكن سطِّروا حكاية حبي
وانقشوا: هنا ترقد امرأة،
عشقت ورقةً!. .
وماتت غرقاً. . داخل محبرة!. .

١٩٨٨/٦/١٠

عاشقة الممحاة

أقضي ليلي وأنا أكتب إليك رسائل حب. . .
ثم أقضي نهاري التالي،
وأنا أمحو كل كلمة على حدة! . . .
فعيناك بوصلتان ذهبيتان
تشيران دوماً صوب. . بحار الفراق!

١٩٨٨/٦/١٠

(*) تُرجم هذا النص إلى الإنكليزية.

عاشقة تتأمل ظلماتها

أهبط إلى قاعي. أتأمل ظلماتي.
أمشي وحيدة في كهوفي
وأنا أحمل خرائط خرائبي وحروبي وحرائقي وكنوزي.
أحفر في ترابي. أنبش صناديقي السرّية
التي دفنتها بإتقان منذ عصور
وعبثاً أتذكر صيغ فتحها!!...
لقد قررت ذات يوم،
أن أحتفظ بصناديق أعماقي سرّاً
صناديق لا تبوح بحقيقتها لمخلوق...
وها أنا أبرُّ بقسمي حتى أقصاه..
ولم تعد أعماقي تبوح بسرّها حتى... لي!
وعبثاً أرى بوضوح، ملامح وجهي في المرآة...
صرت حينما أقف أمام مرآتي
أرى امرأةً - ترتدي ثيابي - تهرول إلى الداخل
دون أن تلتفت صوبي، إلا في ومضة برق..
وتخلِّفني دائماً، وأنا أدري ولا أدري!...

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

١٩٨٨/٦/١٠

عاشقة في قاع خابية

أمشي في زحام الغرباء وأفراحهم
ولا أعرف أحداً. . مثل معطف
يدسّونه في خزانة مطعم مزدحم
ولا يعرف جيرانه! . . .
ها أنا وحيدة ومهجورة،
مثل حبة فستق منسية
في قاع خابية كبيرة موحشة اسمها باريس. .
وحين أسمع صوتك آتياً من آخر الدنيا
آخر الليل، آخر سماعة هاتف،
أغمض عيني
وأراك تختال بهدوء ما بين سوادها وجفنها. . .
أيها البعيد اللامنسي،
باريس هي الربع الخالي. . . من حبك!

١٩٨٨/٦/١٠

عاشقة تحت المطر

أحدِّق في المطر وهو يلتهم النافذة،
والليل يتدفق نهراً من الظلال...
أحدّق... كما أفعل منذ ألف عام،
وللمرة الأولى.. أرى الأشباح بوضوح تام
وهي تتابع حياتها خارج الغرف الموصدة على الصدأ...
أفتح النافذة، وأمد يدي إليها
فتضمها ـ بأصابعها الدخانية ـ بحنان...
وأمضي معها إلى غابة المجهول
نتسامر بحكايا ما وراء المألوف..
آه كيف قضيت عمري كالحمقى
أخاف من الأشباح، وهم مفتاح الليل
و«كلمة السر»؟...

١٩٨٨/٦/١٠

عاشقة تخاف سمكة

. . . ويكسرني الحنين: بلا لبنان، المنفي في كل مكان. .
ولكن، ماذا أقول لبائع الذرة على رصيف البحر
إذا عدت إلى بيروت، ولم يجدك معي؟
ماذا أقول لعربته الصدئة بالملوحة الرطبة الحارة،
وهي التي احتفظت باسمينا
منذ حفرناهما على جسدها العتيق
في ليلة توهُّج لامنسية على شاطىء «المنارة»؟
ماذا أقول للسمكة والنورس والأزهار الصفر البرية،
واشتعال الأشواق في الأشواك الليلكية؟
وكيف تصدِّق رمال بيروت،
أننا لم نعد نجيد القراءة في دفتر الحب،
وأن مدرسة الحنان
طردتنا إلى الفتور، وأغلقت أبوابها على البكاء؟

١٩٨٨/٦/١٠

عاشقة تمتطي حصان الحرية

من أي الأبواب أخطو إليك
ونحن أوصدناها بإتقان فيما بيننا،
وفخّخناها؟
كيف نسفنا الجسور ذات ليلة جنون
وزرعنا الألغام في الوادي، وأضرمنا الحرائق
وعاد كلٌّ منا إلى قواعده.. غير سالم؟
منذ افترقنا يا سيدي
وأنا أسقط في تلك البئر المعتمة داخلي..
أهوي وأتضرع كي ألامس القاع أخيراً..

* * *

حُبُكَ بعيد المدى
عابر للقارّات الليلية والسنوات الضوئية للفراق..
ركبت طائرة الغربة هاربة منك،
فاكتشفت أنك ربانها..
هربت إلى فندق النسيان،
فاكتشفت أنك اشتريته في الليلة السابقة..
هربت في باخرة سياحية،
فوجدتها تحمل اسمك وبصماتك..

مضيت إلى جزر آكلي اللوتس،
فلقيت بناتها يهذين باسمك
وأشرق وجهك في غروب الشمس..
لا خلاص من حبك يا سيدي لبنان، إلا بالاستسلام..

* * *

أتذكّر غابة، تركض عبرها نار شفافة:
كنا عاشقين!
أتذكّر تفاحة بنفسجية، رمالاً بنفسجية
ثم تمتد يدك خضراء،
وعليها تركض أفراس العالم الجميلة..
وأتعلم الصهيل وخبب الليل وأحبو حتى عنقك..
أريد أن أتذكّر أنني أحببتك مرة حقاً
كي أضمك إلى السلك الديبلوماسي للذكريات
خارج حلبة حياتي الحاضرة.. وأتحدث عنك
ببرود قفاز أبيض، ووقار سفير، وحياد مشرط..
وأكرّسك ذكرى جميلة في حرم الماضي..
لا أجرؤ على الاعتراف أنك مشروع إعصار آت...
ولستَ حباً مات وفات

* * *

من يعاقب هذا السيد الحزين
لأن أهله رضوا ذات يوم
بمقاسمة الأخرين خبزهم وشمس حريتهم؟
أما زال الليل ينتظرنا عند منعطف التنهّدات

في تلك الجبال القمرية اللامنسية؟
أعترف بحزن أطفال المياتم: لقد أحببتك مرة
ثم قررت أنني نسيتك..
وأنا أصلي منذ ذلك الزمان الغابر
كي أكون قد نسيتك حقاً!!..
عيناك شاسعتان في المسافة بين الأرز والتبغ
والكرمة والياسمين والكرز والحرائق والمذابح
على طول الشواطىء والجبال حتى حافة جرح قلبي..
أتذكر كيف ركبت حصان الجنون إليك مرة،
وقفزت به من فوق أطفالك وأصدقائك ومجدك،
كأرعن في سباق عمى الحواجز..
ثم حدث خلل بسيط:
لقد أشرقت الشمس صباح اليوم التالي!

★ ★ ★

كنت أعرف أن أيامي معك
حبة سكر في فنجان شاي الصباح..
لكنني عاملت قطعة السكر كجزيرة. أقمت فوقها..
حملت جواز سفرها. نشرت راياتي. نثرت أوراقي..
دققت أوتاد خيامي. زرعت الصنوبر ودويكات الجبل...
ثم ذابت قطعة السكر، وخلّفتني في قعر الفنجان..
مرة، حفرت بئراً، فلم أجد النفط ولا الماء..
ووجدت الحبر!.. واكتشفت الحرية..
هذا قدري معك، أن لا نعيش حكايتنا

وأن أكتبها . . .

★ ★ ★

ضالة معك، تائهة، قلقة،
وضالة بدونك
مثل قطة أليفة أودعوها كيساً،
تمهيداً لرميها بعيداً في حقول فظة تجهلها . .
وحين يداهمني أحد وأنا أستحضرك وأكتبك
أخاف أن تطل من نافذة عيني
فأخفيك جيداً بين أوراقي يا سيدي
وأغطيك بأسنان الضحكات القسرية الهزلية،
لكن اسمك يعلو بهدوء كمنطاد، ويتصدر الصفحات . .
وأظل أكتب لك جرحي كل عام
ومن قطارات الغربة أمد لك رأسي
وأصرخ في وجه عالم متوحش
يقتلك أو لا يبالي بموتك:
كل عام وحبك سيدي يا لبنان.

١٩٨٧/١٢/١٢

عاشقة حبر على ورق!

لأني لا أبحث عن أحد،
ذهلت حين وجدتك!
على الآلة الكاتبة السرّية في قاعي
أضرب لك رسائل الحب المغفلة من التوقيع!
لا أريد حباً مدججاً بالوعود الكبيرة كبيان وزاري
مزيّناً بالآمال المستقبلية كالمارشات العسكرية. .
عصفور ينقر حبة قمح من يدك
ثم يعاود طيرانه في المدى. . . هكذا الحب
لحظة فرح كونية هاربة، كنجم اشتعل ثم هوى.

* * *

لا تتنصل ممن أحببتَ قبلي، وستحب بعدي
واعطنا حبنا كفاف يومنا،
لحظة صدق عابرة تدوم أطول من عمرٍ من الأكاذيب المرصّعة!

* * *

بلا وجل، أمدّ يدي إلى صدرك
وأثقب قلبك بمخلبي
ليهطِل دمك البنفسجي على ورقتي

وتولد النجوم والفراشات والقصائد . .
ما الذي يبقى من قصص الحب غير الحبر على ورق الرسائل؟
ما الذي يخلد أكثر من «حبر على ورق» يتندرون به؟
ومن قال إن الجسد أكثر حقيقة من الظل؟

★ ★ ★

قلبي ممتلىء بحضورك وأنت غائب،
وأنا محاطة بالحاضرين ـ الغائبين في السهرة.
تسيل فوقي أصواتهم وألوانهم مطراً خارج زجاج نافذة منيعة،
ويهطل حضورك من جلدي إلى قاعي . . .

★ ★ ★

أحب الكلمات التي كادت أن تُقال بيننا،
ثم امتنعنا عن إطلاقها إلى العدم،
واحتفظنا بها أسماكاً ملوَّنة مضيئة داخل دورتنا الدموية . . .
وها أنا أتأمل أصابعي وأنا أكتب رسالة لك
تتحول إلى خمسة عصافير
وتطير . .

١٩٩٣/٨/٢٣

عاشقة الأكاذيب الصادقة

أمس، التقيت بالرجل الذي أقسمت له مرة من زمان
في غوطة دمشق، تحت ضوء القمر الصيفي، أنني سأحبه إلى الأبد،
ولن أنساه.
التقيته ولم أتعرف عليه!
نسيته ذلك النسيان المثالي الفاتر المحايد!
ارتبكت. صار حضوره نصباً تذكارياً لضعفي البشري.
اصْدَق الأكاذيب عبارة: سأحبك إلى الأبد!

١٩٩٣/٨/٢٣

عاشقة تخشى أسنان الزهرة

قلت للزهرة اللطيفة: صباح الخير
أخرجت أسنانها وأكلتني! . .
ومن يومها وأنا أهرب من حكايات الحب
لأجلس على الضفة الأخرى
أكتب قصائد الحب للحب ـ كما الفن للفن!
أيتها المرأة الوحيدة، لماذا تحبين الحب وتكرهين الحبيب؟
قالت المرأة الوحيدة كحبة فستق منسية في الصحن:
لأنني أخاف أسنان الأزهار!

١٩٩٣/٨/٢٣

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

عاشقة حرّة كالأمواج

حين أحبني السيد «شاعر» قرَّر أن عليَّ أن أخسر نصف وزني لضرورات الرومانسية، ولا آكل غير العشب، ولا أرتدي غير القطن، وأمشي معه في دروب «الدروشة»، أدخن معه الأعشاب الغامضة في البراري، وأزداد نحولاً ليستوحي من مرضي أنضر أشعاره!

وحين أحبني السيد «مازو» حكم عليّ بارتداء جزمة جلدية سوداء مدببة الكعب، وعلّمني استعمال سوطي لأعاقبه على ذنوب أجهلها مثله، ولأمنحه مباهج غزالٍ يُشوى حياً بهدوء على الفحم، وحذّرني من الحنان والرقة والأمومة...

وحين أحبَّني «عنترة» فتل شاربيه وأدخلني في هودج العزلة، وصرت ممنوعة من الصرف والأبجدية معاً...

حين أحببتني أنت أطلقت سراحي منهم جميعاً وقلت لي: أمطري حيث شئتِ، فأنت حبيبتي وخراجك عندي...

★ ★ ★

لو لم أكن حرة كالأمواج، لما استطعت اختيار شطآنك لأروح وأجيء عليها ليلاً، أسامر الرمال والقواقع والنجوم وضوء القمر، منشدة بصوت عرائس البحر...

لو لم أكن حرة لعجزت عن حبك.

كيف كان بوسعي أن أحلِّق صوب مغاور صدرك
لو قصصتَ لِي أجنحتي؟
وهل سمعتَ مرة بعصفور
يحب السقف والجدران والقضبان، وينشد لقفل قفصه؟

١٩٩٣/٨/٢٣

عاشقة في مدن بلا ذاكرة

لستُ سلحفاة. . .
ووطني ليس صدفة من عاج،
أرتديها فوق ظهري، وأهرول بها حيث أشاء. .
ولستُ نورساً، لأطير إلى أي مكان
يرحلِ إليه الربيع وأقول: هذا وطني!
ولستُ فيلاً، لا يعود إلى وطنه إلا ليموت. .
ولستُ ضفدعاً، وطنه النقيق عند الغروب. .
ولستُ حوتاً، وطنه التيار كيفما سار. .
ولستُ أفعى، تخلع جلدها كل عام
وتصنع منه محفظة، لبطاقة وطن جديد. . .
ولستُ أرنباً وطنه التناسل. .
ولستُ كلباً يهز بذيله طرباً
لمن يطعمه وبالدفء يغمره
وبالطوق الذهبي يحيط عنقه. . .
ولستُ قطاً يعلن سرير الدلال وطناً. .
ولستُ فراشة وطنها الألوان والفضاء. . .
وأعرف جيداً،
انني ولدت منذ آلاف الأعوام. .

وأعرف أين ولدت، وتعلّمت الحياة تلو الأخرى. .
وأتقنت الموت تلو الآخر. .
وعيناي بوصلتان، تتجهان دوماً إلى هناك.

★ ★ ★

ها أنا أمدِّد أجساد أحبائي القتلى،
فوق طاولة كتابتي، وأنهمر مطراً وحبراً. .
أتعرف يا صديقي طعم مدن بلا ذاكرة،
وحانات بلا عصافير، وقطارات بلا محطات. .
تهرول بك فوق سكك الأحزان اللامتناهية؟
آه كم من الكوابيس أعادتني إليك،
وأنا أفتتح متاحف الحزن
وأقص الشريط التذكاري بأسنان البكاء.
أتعرف يا صديقي طعم الوحشة،
حين ينتحب المطر فوق رأسك
في مأتم شتاء المدن الكبيرة
وأنت تهرول وحيداً،
تتزلج فوق الكآبة والذكريات؟
أعرف أن المراكب في المرفأ تشكو الضجر،
ولكن المراكب المبحرة تشكو الغربة
وتشهد أن موسم الهجرة إلى الوطن قد حان. . .

★ ★ ★

أستقلُ المترو، فيركض فوق جسدي. .
أشتري الأطعمة المثلجة

فأجد رائحتها كبرادات جثث المجهولين . .
أرتدي معطف الفراء
فيعوي ثلج البراري نائحاً قرب عنقي . .
أمشي في شارع «الشانزيليزيه»
وتتنزه فوق رأسي أقدام الفاتحين . . .
أتسول بطاقة إقامة في الغربة ،
فأجد نفسي معزّزة مكرّمة
ممدّدة على المنصة في مشرحة المشردين . .
شبح أنا في الغربة . .
أمد يدي لأشتري تذكرة السينما
فلا تراني البائعة وتخاطب الواقف خلفي . . .
الأبواب التي تنفتح من تلقاء نفسها
ـ حين تقف على عتبتها ـ
لا تستجيب لي وتظل موصدة . .
تذكّرني بانعدام وزني هنا . . كالغرباء كلهم
مهما ربطوا إلى أجسادهم أثقالاً ذهبية مرصّعة . . .

* * *

لا تقل لي إن الكلاب البوليسية
تطاردك في ليل الموانىء الغريبة ،
وفي ليل مطار بلدك على السواء . .
وإنك تعيس هنا ، وتعيس هناك . . .
لا تقل لي إنك تحسد الذين في «الداخل»
وهم يحسدونك بدورهم لأنك في «الخارج»
وهذا قدرك : محسود وحاسد . . مقتول وقاتل . . .

لا تقل لي إنه موسم الهجرة إلى النسيان..
ودعني، أخطّ نداء الاستغاثة هذا، من منفاي
وأضعه داخل زجاجة أرمي بها إلى البحر
وأشهد أنه موسم الهجرة إلى الوطن،
فهل يجرؤ أحد هناك على التقاطه وقراءته
أم سيخيفه شعار الشاطىء: ممنوع القراءة؟!

١٩٨٨/٥/٢٠

عاشقة تقتل الصمت

تلك الليلة، لم يأت صوتك. أعترف: سمعت الهاتف يرنّ .
مرتين، ثم اكتشفت أنني كنت أحلم!
إذاً استطعت أن تجرّني إلى مغاور الهذيان، لأحلم برنين ماكينة
أكرهها.
حين أيقظني صوتك عند الفجر، كنت ثمرة أنهكتها العاصفة المكهربة
الليلية.
لماذا تأخرت؟
تؤكد: لأنني خفت كخوف الشاعر القائل «قلبي يحدثني بأنَكَ
مُتلفي / روحي فداك عرفت أم لم تعرف»
صدُقتُ كذبتك لأنها جميلة ولأنني سمعتها بصوتك!

* * *

آه صوتك،
كيف يمكن لفرحة أن تدوم طويلاً هكذا على مدى موتين داخل
مكالمة هاتفية واحدة؟
آه صوتك،
النوافذ الموصدة صارت أفقاً بحرياً.
النوارس تطير من منفضة السجائر،
جلد الجدران يتنهد ويرتجف ويتعرّق.

آه صوتك،
بين ذاكرة وأخرى. شجار وآخر.
صوتك رائحة الحقول بعد المطر.
ثلج على شعري وأصابع دافئة تطارده.
ضحكات في المقهى، ابتسامات تبغيَّة. بائعة أزهار عجوز تلاحقنا فنشتري كل ما معها، ونرميه وردة وردة على صفحة نهر السين.

* * *

آه صوتك،
رحيل إلى نجوم سرّية تقطن قاع البحر ولم يكتشفها أحد بعد في مضارب الموج قرب المرجان.
صوتك أكوان فرح منسية.
مدارات ملوّنة رسمها طفل في دفتره ونسِيَنا داخلها سجينين في أقمار اصطناعية.
كيف الدخول إلى صوتك؟
كيف السبيل إلى دورتك الدموية؟
وبأية كلمة سحرية؟
آه صوتك،
ما أجمل اغتيال الصمت
بصمت آخر له صوت!

١٩٩٤/١/١٠

عاشقة تقرع باب الوردة

ها أنت تناصبني الحب..
يا له من حب شبيه بالعداء،
واقف على تخوم الكراهية والعجرفة وشهيَّة التملّك..
أين المفر؟ وعيناك أمامي، وفراقك ورائي
والعمر مستحيل بك، وبدونك!...

* * *

أطرق باب الوردة، فتفتح بابها
شاهرة فأسها كصديقة «مخلصة»..
أطرق باب النسيان، فيرمي في وجهي
بصورنا القديمة وأسطواناتنا وهذياننا الهاتفي المحموم..
أطرق باب حبك، فيجيبني شبح فقد ذاكرته...
أطرق باب بيروت، فيفتحه مسلح أعمى عربيد
ويصرّ على إفهامي أسرار «الألوان» وهو يرسم..
ويلقي محاضرة عن الطريق إلى «النصر»
ويتابع صنع البوصلات إلى الجنة،
ويرغم الطيور على الهجرة وفقاً لخرائطه..

* * *

أطرق باب الموت، فيعلِّق حفّار القبور لافتة:

«لم تبقَ محلات».. ويسجِّل اسمي على «لائحة الانتظار»!...
أطرق باب الفرح، فيفتحه لي وهو يجهش بالبكاء..
أطرق باب المحبرة، فأجد جثث الحروف
عائمة فوق سطحها مذبوحة بسكاكين «العناصر غير المنضبطة»...
أطرق باب جدتي، فتفتحه لي بوجهها العتيق،
وأبكي طويلاً فوق حناء يديها،
بينما ياسمين شعرها يهطل فوقي...

١٩٨٨/٤/٨

عاشقة فوق بساط الريح

. . ولم تكسب رهان إذلالي.
خوّفتني من القمر، وادّعيت أنه سيهاجمني
ويدّثرني بالجنون الفضي
إذا لمحني بدونك. . .
خوّفتني من الليل، وقلت إنه سيغتصبني
وسألد الغربة لقيطةً تلوثني. .
خوّفتني من زملاء العمل، وادّعيت
أنهم سيأكلونني حيةً على طاولة الاجتماعات. .
ويمسحون أيديهم من دمي بأوراق محاضر الجلسات! . .
خوّفتني من الريح، وأوهمتني أنها ستسرق صوتي. .
خوّفتني من الرحيل، لأنه سيلطخني بأوحال الدروب. .
خوّفتني من كل شيء، من الزنابق والعناصر
كي أقدم أوراق اعتمادي إلى سلك ملذاتك
وأعمل جارية في كهوف لامبالاتك المزدحمة بالسبايا
وأتسكع على الشراشف الحريرية لضجرك
بين وسائد تشاوفك وتأففك المتثائب. . .
لكنني يا سيدي، قررت الرحيل إلى حريتي فوق بساط الريح
مترعة بالحزن، مضرجة بالفراق، متأججة بالجراح
وها أنا أجلس وحيدة

على قمة عالم صغير أمتلكه، أتنفس العواصف
وأدمن طعم الكرامة الخشن كمنشار. . .
لكنني آتيك بالمحبة، وأسألك بالصفاء
بعيداً عن المستنقعات المتحركة للحقد:
هل نستطيع أن نتعلَّم معاً كيف نكون صديقين؟
أريد أن أصادق حبك، ولكن كيف؟

* * *

أيها الشقي، ألم تتعب من الفرح المستعار
والمهرجانات «الكرنفالية»،
التي تخرج فيها الأرانب من قبعتك لآلهة التصفيق؟
متى تنضم إليَّ في الركن المعتم
لننتظر معاً شروق الشمس ونتعلَّم الحنان؟

١٩٨٨/٤/٨

عاشقة تركب عاصفة

أريد أن أصادق النملة
كي أتعلَّم المشي إليك دونما كلل . .
وأعلِّمك أسراري دونما وجل . .
أنا الطالعة من سلالة عربية متجددة . .
لا تخشى المهرة ركوب العاصفة . .
لا تخشى المهرة رعد الأقاويل، وصواعق الاتهامات . . .
أريد أن أصادق نبضك وأصارحك بإيقاعي الداخلي . .
أريد أن أصادق الريح ،
كي تكشف لي أسرار القلوب موصدة النوافذ . .
أريد أن أن أصادق الموت، كي يأخذني إليه بحنان . .
أريد أن أصادق الورقة . . كي تدعني وشأني! . .
أريد أن أصادق حبك وجنونك
كي نتعلَّم المحبة قبل الشهوة،
والعطاء لا الترويض . .
فهل ترضى بأن نأخذ معاً «دروساً خصوصية»
في مدرسة التواضع ، بعدما رسبنا في صف الحنان . .
وتخرَّجنا من أكاديمية الشراسة بتفوّق؟ . .

★ ★ ★

ألم يقضِ الحزن وطره من قلبي؟
حتامَ يترنح في أعماقي متعثراً بصمتي الفاحش؟
حتامَ يستجوب حنجرتي المقطوعة بسكين الكبرياء
في سكون ليالي الشوق السرّي إليك؟ . . .
حتامَ يظل حبنا،
مثل كتابة بالأزرق فوق البحر؟ . .
هذا قدري : سأظل أمشي في نومي
عبر القارّات
حتى أتعلّم كيف أموت . . .

١٩٨٨/٤/٨

عاشقة في متاهة الورقة

من الحبر تعلّمت حبك..
قطرة واحدة تركض طويلاً على البياض..
من العود تعلّمت حبك،
صرت وتراً وتركت عاصفتك تعزفني...
من النوارس تعلّمت حبك،
تعيد كتابة الأفق بأجنحة الرحيل خلف الضوء..
من الأطفال والمجانين تعلّمت حبك،
اللغة مرآة القلب في عريه المطلق..
من النملة تعلّمت حبك،
حبة قمح أسطورية حتى الرمق الأخير، تلاحقها..
من العصفور الدوري تعلّمت حبك،
سعيدة بشجرتك..
وسعيدة بشهية التحليق: لست عصفوراً في اليد!...

* * *

ها هي حروفي تجنّ..
داخل أقفاص الواقع اليومي،
المتورم تفاهة وصدأ تحت ذباب الثرثرة..
ها هي حروفي تجنّ،

وتضرب رأسها بالقضبان حتى النزف..
آه كيف أروِّض روحي الأثيرية،
في أبدية الخمول؟ وأسدّ مساماتي العاشقة،
بالغبار المتراكم على الوجوه حولي.. والشفاه..
كيف أعلِّم شهيقي وزفيري الرتابة والطاعة،
وحرفة الانتماء إلى الأطلال، بدل الأفق؟
آه كيف تستقر أعماقي القلقة كالزئبق،
في أوعية الركود المستنقعية
لدورة دموية، لم تدرْ منذ عصور؟..
... وكيف أحيا إذا لم أحبك،
وأشاركك سرقة النار وحب الأسرار؟...

* * *

ما الذي تفعله ذكراك لتصير لؤلؤة سوداء
تتدلى من عنقي إلى الأبد؟
ما الذي يفعله البجع..
راكضاً بالحبر الأبيض على جناحيه،
فوق دفتر الغابات والضباب،
وأنا أهرول في قارّات ليست لي..
وأنادي حبيباً ليس لي؟
وما الذي أفعله بجثث الحروف،
إذا لم أحبك؟ كيف تدبّ الروح
في اللغة، وأشتعل بالحب المستحيل
لملايين نساء وطني الصامتات، مقطوعات الحناجر؟
وكيف أطلق سراح صرختهن،

إذا لم أختر حبك وأعيشه وأموته . .
وأسبّحه داخل محبرتي هائمة على وجهك،
وجهك اللامنسي، بحثاً عن وجهي الحقيقي؟ . .

★ ★ ★

. . . يظل القلم يقتحم يدي عنوة
ويجرّها إلى متاهة الورقة، لأكتبك وأتنهدك
وأعيد السلالم المعدنية المتحركة للزمن إلى الوراء
وأرسمك داخل تلك اللحظة اللامنسية،
وأنت تهمس لي: «أحبك» . .
تقولها خلسة عن نفسك، وبحدّة
مثل طعنة خنجر سريعة في الظلام . .
وجسدك قارّة،
الداخل إليها مفقود، والخارج أيضاً! . .
وعيناك شروق الليل، برق الأمطار الحارّة.
أذكرك. أتنهدك. أستعيدك وأنا أنحني على أوراقي،
كساحرة تستحضر وجه حبيبها في مرآة،
وأكتبك بجموح القلب إلى المستحيل،
وحين ترف بأهدابك على الورقة، وتتنفس حياً،
أقفز إليك داخل الدفتر،
لنركض معاً هاربين بين السطور . .

١٩٨٨/١١/١٨

(*) تُرجم هذا النص إلى الانكليزية.

الفهرس